ذم المال والجاه

شرح حديث: ما ذئبان جائعان

يطبع لأول مرة على خمس نسخ خطية

للإمام الحافظ

زين الدين عبد الرحمن ابن رجب الحنبلي

(٧٣٦هـ - ٧٩٥هـ)

تحقيق

خالد أبو صالح

دار الوطن للنشر

ذم المال والجاه

شرح حديث: مازئبان جائعان

ⓒ مدار الوطن للنشر، ١٤٣٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهـد الوطنية أثناء النشر
الحنبلي، الحافظ زين الدين
ذم المال والجاه .
/الحافظ زين الدين الحنبلي ، خالد مصطفى سالم ـ الرياض، ١٤٣٨هـ
٨٠ ص ؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك: ٨ ـ ٧٣ ـ ٨١٧١ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨
١ـ الحديث ـ شرح ٢ ـ الحديث ـ تخرج ١. سالم، خالد مصطفى (محقق)
ب-العنوان
ديوي : ٢٢٧.٣ ١٤٣٨/١٨٣٤

رقم الإيداع: ١٤٣٨/١٨٣٤
ردمك: ٨-٧٣-٨١٧١-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى ١٤٣٨ هـ / ٢٠١٧ م

جميع الحقوق محفوظة

مدار الوطن للنشر

المملكة العربية السعودية – الرياض
ص.ب ٢٤٥٧٦٠ الرمز البريدي ١١٣١٢
المقر الرئيسي - الروضة - ت: ١١٢٣١٣٠١٨
ت: ١١٤٧٩٢٠٤٢ (٣ خطوط) – ف: ١١٢٣٢٢٠٩٦
فرع مخرج ١٥ ت: ١١٤٤٥٤١٢٤ جوال: ٠٥٠٣٢٨٢٣١٨
K.S.A / Riyadh11312 P.O.Box: 245760
Rawdah / Tel.:112313018 Fax:112322096
Exit15 -Tel.114454124 Mob. 0503282318
مندوبي التوزيع
الرياض: ٠٥٠٣٢٦٩٣١٦ الغربيه: ٠٥٠٤١٤٣١٩٨
الشرقيه الشمالية: ٠٥٠٣١٩٣٢٦٨
التوزيع الخيري الجنوبية: ٠٥٠٣١٩٣٢٦٩
مسؤل الجهات الحكومية: ٠٥٠٠٩٩٦٩٨٧

الموقع الإلكتروني | www.madaralwatan.com.sa
البريد الإلكتروني | pop@madaralwatan.com.sa
madaralwatan@hotmail.com
madaralwatan2020@gmail.com

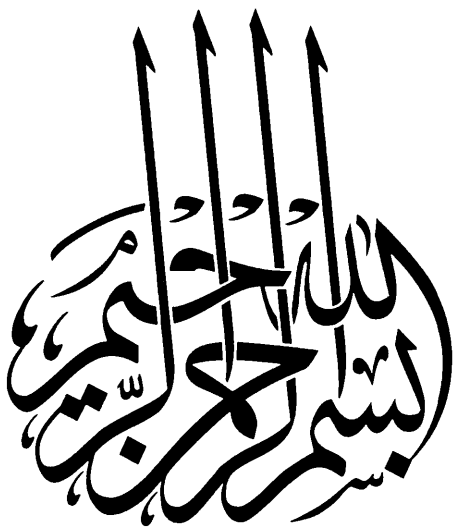
بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة المحقق

الحمدُ للهِ الذي كان بعباده خبيرًا بصيرًا، وتبارك الذي جعل في السماء بروجًا وجعل فيها سراجًا وقمرًا منيرًا، وهو الذي جعل الليل والنهار خِلْفَةً لمن أراد أن يذَّكر أو أراد شكورًا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده وسوله.

وبعد..

فهذه رسالة عظيمة من رسائل الإمام ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ شرح فيها قوله ﷺ: «**ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرصِ المرء على المال والشرف لدينه**»(١).

وقد قصد المؤلف بذلك تذكير المسلمين وتحذيرهم من الحرص على المال والشرف، مبينًا أن الحرص على المال والشرف مفسد للدين، مضعف للإيمان، مستجلبٌ لرذائل الأقوال والأفعال والأخلاق، بحيث لا يسلم من دين المسلم - مع حرصه على المال والشرف في الدنيا - إلا القليل.

ثم بين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنواع الحرص على المال ومخاطرة الحريص بنفسه ودينه في سبيل تحصيله، ثم هو في النهاية لا ينتفع به، بل يذهب ويتركه لغيره.

ثم بين أن أشدَّ أنواع الحرص على المال هو أن يطلبَه من وجوهه المحرمة، ويمنع حقوقه الواجبة، وهذا من الشحِّ المذموم الناتج عن شره النفس وشدة تطلعها إلى ما في أيدي الغير، وهو من الظلم والعدوان.

---

(١) سيأتي تخريجه إن شاء الله تَعَالَىٰ.

ثم انتقل المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى بيان مضارّ الحرص على الشرف، وبين أن الحرصَ على الشرف أشدُّ هلاكًا من الحرص على المال؛ لأن الأموال تُبذل في طلب الرياسة والشرف.

وبين رَحِمَهُ ٱللَّهُ جانبًا من دقيق آفات حبّ الشرف بطلب الولايات والحرصِ عليها، وهي إرادة علوّ المنزلة عند الخلق والتعاظم عليهم وإظهار حاجة الناس إليه وذلهم له، وذكر أن هذا مزاحمة لربوبية الله وألوهيته وأن هذا لا يصلح إلا لله تَعَالَىٰ.

وذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الحرص على الشرف يجرُّ إلى الظلم والكبر والعتوِّ والإفساد في الأرض، وموافقة الظلمة في ظلمهم وفسادهم، بل وخدمتهم والسعي في مرضاتهم، وتحسين القبيح لهم ليظهر في صورة المشروع والحسن.

ثم تحدث رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن كراهية أئمة الهدى وقضاة العدل للمدح والثناء على أشخاصهم، وبغضهم للشهرة بين الخلق، ونفرتهم من الفتوى والقضاء، وفرارهم من الولايات والرئاسة على الناس.

بل كان كل منهم يودُّ لو أن أخاه كفاه مؤونة القضاء والفتيا؛ لأنهم ما كانوا يسعون إلى تعظيم أنفسهم، ولا يطلبون الشرفَ لأنفسهم، وإنما كانوا يسعون إلى تعظيم الخالق وحده، وإفراده بالعبودية، وإفراد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمتابعة.

وبين المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن طلب الشرف والعلو على الناس ببذل الدين هو من أفحش أنواع الحرص على الشرف؛ لأن العلم والدين يطلب بهما ما عند الله من القرب والمغفرة، لا ما عند الناس من المال والرياسة، ولذلك كان أشد الناس عذابًا في الآخرة عالم لم ينفعه الله بعلمه.

ثم بين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنواع العلو، وأن منه ما يمدح وهو طلب رضوان الله وقربه وجواره، ومنه ما يذم، وهو العتو والتكبر في الأرض بغير الحق، وذكر ما ورد عن السلف في ذلك.

وأشار المؤلف إلى أن من كان همُّه حفظ منزلته عند الخلق والخوف من زوالها، كان ذلك حظه من الله، ولم يكن له من قربه نصيب.

ومن اشتغل بتربية منزلته عند الله، ولم يعبأ بمنزلته عند الخلق، أعطاه الله المنزلة في قلوب الخلق، مع ما يدَّخره له في الآخرة من الأجر والثواب العظيم.

فطلب الآخرة يحصل معه شرف الدنيا وإن لم يرده صاحبه.

فهذه إشارة لطيفة إلى ما حوته هذه الرسالة من الدرر النفيسة، والمقاصد المنيفة، والمسائل المهمة التي يحتاج إليها كل مسلم، وبخاصة في هذا العصر الذي طغت فيه الماديات، وأصبح الناس يلهثون وراء المال والمناصب والرياسات والشهرة، وغفلوا عن مثل هذه المعاني العظيمة التي أشار إليها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الرسالة النافعة.

وقد أشار النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى خطورة فتنة الدنيا على الدين فيما رواه عنه أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويُمسي كافرًا، ويُمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعَرَضٍ من الدنيا**»(١).

فنسأل الله أن يعصمنا من الفتن وأن يجعلنا من المتمسكين بدينه حتى نلقاه، وأن ينفع بهذه الرسالة، وأن يجزي مؤلفها ومحققها وناشرها وقارئها خير الجزاء، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) «صحيح مسلم» رقم (١١٨).

ترجمة الإمام ابن رجب[1]

اسمه ونسبه ومولده:

هو الشيخ الإمام الحافظ المحدث الفقيه الأصولي المؤرخ الواعظ القدوة زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن بن محمد بن مسعود السلامي البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي.

ولد في بغداد في ربيع الأول سنة ست وثلاثين وسبعمائة، وهو ينتمي إلى أسرة عريقة في العلم والصلاح والدين.

رحلته في طلب العلم:

تأثر ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بوالده شهاب الدين أحمد الذي برع في القراءات والحديث، وقد حرص على تعليم ولده مبادئ العلم منذ الصغر، بل إن ابن رجب حضر بعض مجالس جده العلمية وهو لما يتجاوز الخامسة بعد.

وقد حرص والده على إسماعه الحديث من الشيوخ الثقات، فكان يصطحبه في أسفاره ليقرأ على الشيوخ والمحدثين ويستمع منهم.

قال ابن العماد في (شذرات الذهب[2]): قدم من بغداد مع والده إلى دمشق وهو صغير سنة أربع أربعين وسبعمائة، وأجازه ابن النّقيب، والنّووي - غير أبي زكريا المعروف صاحب رياض الصالحين - وسمع بمكّة على الفخر عثمان ابن يوسف، وأكثر الاشتغال بالعلم حتى برع، واشتغل بسماع الحديث باعتناء والده.

(١) انظر ترجمته في: «شذرات الذهب» (٨/ ٥٧٩)، و«الدرر الكامنة» (٢/ ٣٠١)، و«إنباء الغمر» (١/ ٤٦٠)، و«البدر الطالع» (١/ ٣٢٨)، و«ذيل التذكرة» للسيوطي (ص: ٣٦٧)، و«السحب الوابلة» لابن حميد (ص: ١١٦)، و«الأعلام» للزركلي (٣/ ٢٩٥)، و«معجم المؤلفين» (٥/ ١١٨).

(٢) «شذرات الذهب» (٨/ ٥٧٩، ٥٨٠).

وحدّث عن محمد بن الخبّاز، وإبراهيم بن داود العطّار، وأبي الحرم محمد ابن القلانسي.

وسمع بمصر من صدر الدين أبي الفتح الميدومي، ومن جماعة من أصحاب ابن البخاري، ومن خلق من رواة الآثار.

أتقن علوم الحديث وصار أعرف أهل عصره بالعلل وتتبع الطرق، وتخرج عليه كثير من الحنابلة.

وتوالت رحلاته إلى القدس ومصر والحجاز وغيرها في طلب الحديث، وكانت دمشق وطن إقامته ومستقره في أثناء ذلك، منها يرتحل وإليها يعود.

وقد رافق رَحِمَهُ ٱللَّهُ الشيخ الحافظ زين الدين العراقي في السماع كثيرًا، وهو شيخ ابن حجر العسقلاني، ولازم مجالس الإمام ابن قيم الجوزية إلى أن مات ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقال فيه ابن حجر العسقلاني[1]: وقد مهر في فنون الحديث؛ أسماء ورجالًا وعللًا وطرقًا واطلاعًا على معانيه.

مصنفاته:

وله مصنفات مفيدة ومؤلفات عديدة منها:

❁ شرح جامع أبي عيسى الترمذي في نحو عشرين مجلدًا كما ذكر الحافظ ابن حجر، وهو مفقود والمطبوع منه شرح العلل.

❁ وله جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم.

❁ ولطائف المعارف، وأحكام الخواتيم، والاستخراج في أحكام الخراج، ونزهة الأسماع في أحكام السماع، وفضائل الشام، والذل والانكسار للعزيز الجبار، والفرق

(١) «إنباء الغمر بأبناء العمر» (١/ ٤٦٠).

بـين النصيحة والتعيير، ومختصر سـيرة عمر بـن عبد العزيز، والحكـم الجديرة بالإذاعة، وأهـوال القبـور، والتخويـف من النـار، واختيـار الأولى في شرح حديـث اختصام الملأ الأعلى وغيرها.

❁ وشرع في شرح البخـاري فوصل إلى الجنائز سماه فتح الباري في شرح البخاري ينقل فيه كثيرًا من كلام المتقدمين.

❁ ومن تصانيفه: تقرير القواعد وتحرير الفوائد المشهور بقواعد ابن رجب مما يدل على معرفة تامة بالمذهب.

❁ ومنهـا الذيـل عـلى طبقـات الحنابلـة ترجم فيـه لأصحـاب مذهبـه، ورتبه على الوفيات. وله غير ذلك من المصنفات.

زهده رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عرف ابن رجـب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالزهد والورع والتفرغ للعلم والتصنيف وكان صاحب عبادة وتهجد وكانت مجالسه رَحِمَهُ ٱللَّهُ مجالس علم ووعظ وأدب، وتذكير للقلوب، وتأنيب للنفوس، وكانت نافعةً للناس كافة، صادةً لهم عن المعاصي والغفلة، حيث ظهرت بركتها على الجميع واستفاد منها الموافق والمخالف، وقد اجتمع الناس على تعظيم الشيخ الإمام والتردد عليه، ومالت القلوب بالمحبة والانجذابِ إليه.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يعرف شيئًا من أمور الناس، ولا يتردد إلى أحد من ذوي الولايات، وكـان يسـكن بالمدرسـة السـكرية بالقصَّاعـين، وقد ظـل فيهـا إلى أن مـات - رحمة الله عليه.

وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليلة الاثنين رابع شهر رمضان، وقيل: في رجب سنة خمس وتسعين وسبعمائة بدمشق، ببستان كان استأجره، وصُلي عليه من الغد، ودفن بالباب الصغير جوار قبر الشيخ الفقيه أبي الفرج عبد الواحد بن محمد الشيرازي ثم المقدسي الدمشقي، المتوفى في ذي الحجة سنة ست وثمانين وأربعمائة.

قال ابن ناصر الدين: ولقد حدثني من حفر لحد ابن رجب أن الشيخ زين الدين ابن رجب جاءه قبل أن يموت بأيام فقال له: احفر لي هاهنا لحدًا وأشار إلى البقعة التي دفن فيها، قال: فحفرت له، فلما فرغ نزل في القبر واضطجع فيه فأعجبه وقال: هذا جيد، ثم خرج.

قال: فوالله ما شعرت بعد أيام إلا وقد أُتي به ميتًا محمولاً في نعشه، فوضعته في ذلك اللحد.

ومن شعره رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]:

١- أفِي دَارِ الخَرَابِ تَظلُّ تَبنِي ... وتَعمُرُ مَا لِعُمرَانٍ خُلِقْتا

٢- وَمَا تَركَتْ لَكَ الأَيَّامُ عُذرًا ... لَقَد وَعَظَتْكَ لَكِنْ مَا اتَّعَظتَا

٣- تُنادي للرَّحِيلِ بِكُلِّ حِينٍ ... وَتُعلِنُ أنَّمَا المَقصُودُ أنْتَا

٤- وتُسمِعُكَ النِّدَاءَ وأنتَ لاهٍ ... عَنِ الدَّاعِي كأنَّكَ مَا سَمِعْتَا

٥- وتَعلَمُ أنَّهُ سَفَرٌ بَعِيدٌ ... وعَن إعدَادِ زَادك قَد غَفَلتَا

٦- تَنَامُ وَطَالِبُ الأيَّامِ سَاعٍ ... وَرَاءَكَ لاَ يَنَامُ فَكيفَ نِمتَا

٧- مَعائِبُ هَذِهِ الدُّنيَا كَثِيرٌ ... وأنتَ عَلَى محبَّتِهَا طُبِعْتَا

---

(١) انظر: رسالته في «ذم قسوة القلب» (ص: ٩١- ٩٣).

٨- يَضِيعُ العُمرُ فِي لَعِبٍ وَلهوٍ وَلَو أُعطِيتَ عَقْلاً مَا لَعِبتَا

٩- فمَا بَعدَ الممَاتِ سِوَى جَحِيمٍ لِعَاصٍ أو نَعِيمٍ إنْ أَطعْتَا

١٠- فَكَيفَ تصدُّ عَن تَحصِيلِ بَاقٍ وَبِالفَانِي وزُخرُفِهِ شُغِلتَا

١١- هِيَ الدُّنيَا إذَا سَرَّتْكَ يومًا تَسُوءُكَ ضِعْفَ مَا فِيه سُرِرْتَا

❁❁❁

وصف النسخ الخطية

اعتمدت في تحقيق هذه الرسالة على خمس نسخ خطية، وهي كالآتي:

النسخة (أ): وهي من مخطوطات الأزهر الشريف، وتقع في (١٧) ورقة (٣٤) صفحة، وقد تم نسخها سنة ١٠٢٢هـ في أوائل شهر رمضان.

النسخة (ب): وهي من مخطوطات مكتبة جامعة الرياض سابقًا، جامعة الملك سعود حاليًا.

تقع ضمن مجموع يحتوي على (١٤) رسالة منها (١٢) رسالة لابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ورسالتان لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد تم نسخه في ١٧ رجب سنة ٣٣٣هـ ونقل من خط محمد بن علي بن زامك عام ١٣١١هـ. وتقع هذه النسخة في (١٠) ورقات (٢٠) صفحة .

النسخة (ص) وكانت بالمكتبة العمرية بالرياض، ثم آلت إلى مكتبة جامعة الرياض سابقًا، الملك سعود حاليًا.

وتقع هذه النسخة في (١١) ورقة (٢٢) صفحة.

النسخة (جـ): وبعد الانتهاء من تحقيق الكتاب وتجهيزه للطباعة، عثرت على نسخة رابعة، وهي من مخطوطات دار الكتب المصرية، وتقع في إحدى عشرة ورقة، في كلِّ ورقة صفحتان، وقد رمزت لها بالرمز (جـ) وهي نسخة ناقصة ولا تتميز عن النسخ الأخرى بشيء.

النسخة (د): ثم عثرت على نسخة خامسة وهي من مصوّرات دار الكتب المصرية أيضًا، وهي نسخة كاملة جيدة جدًّا تقع في عشرين ورقة في في كل ورقة صفحتان، وقد

رمزت لهذه النسخة بالرمز (د) وقمت بمقابلتها على النسخ الأخرى كاملة، وقد استفدت منها استفادة كبيرة في ضبط نصّ هذه الرسالة وحلّ كثير من إشكالاته التي لم تفِ النسخ الأخرى بحَلِّها، وقد صححنا كثيرًا من الأخطاء الموجودة في النسخ المطبوعة حتى تلك التي حققها فضيلة الشيخ طارق بن عوض الله على أربع نسخ خطية، فقد وجدت فيها شيئًا غير يسيرٍ من الأخطاء والسقط، ومن قارن بين النسختين تبين له ذلك.

وهذه النسخ كلها متشابهة، إلا أن بينها بعض الفروق وفيها بعضُ التصحيف والسقط نبهنا عليه في مواضعه من الرسالة.

ونظرًا لتشابه هذه النسخ وقرب عهدها لم نجعل إحداها أصلاً، بل اعتمدنا في إخراج الكتاب عليها جميعًا، فما كان من خطأٍ في إحداها صححناه من الأخرى، وما كان من سقط في واحدة استدركناه من الأخرى، ولم نثبت جميع الفروق بين النسخ الخمس، وإنما أثبتنا ما يمكن أن يشكل أهمية في النصّ أو لدى القارئ الكريم.

هذا وأسأل الله أن يخلص نياتنا، وأن يوفقنا إلى نشر المزيد من هذه الرسائل النافعة.

وهذه صور بعض المخطوطات التي اعتمدنا عليها في تحقيق هذه الرسالة:

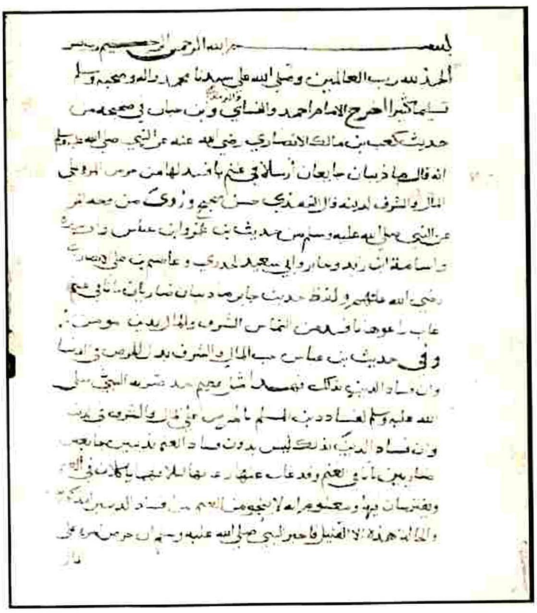

الصفحة الأولى من النسخة (أ)

الصفحة الأخيرة من النسخة (أ)

الصفحة الأولى من النسخة (ب)

الصفحة الأخيرة من النسخة (ب)

الصفحة الأولى من النسخة (ص)

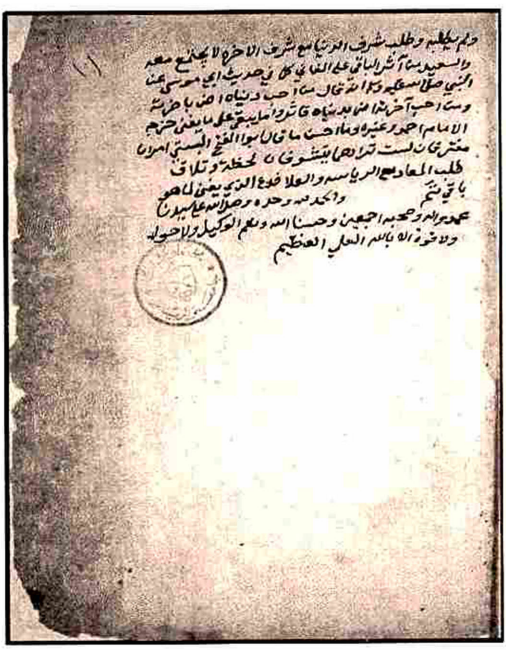

الصفحة الأخيرة من النسخة (ص)

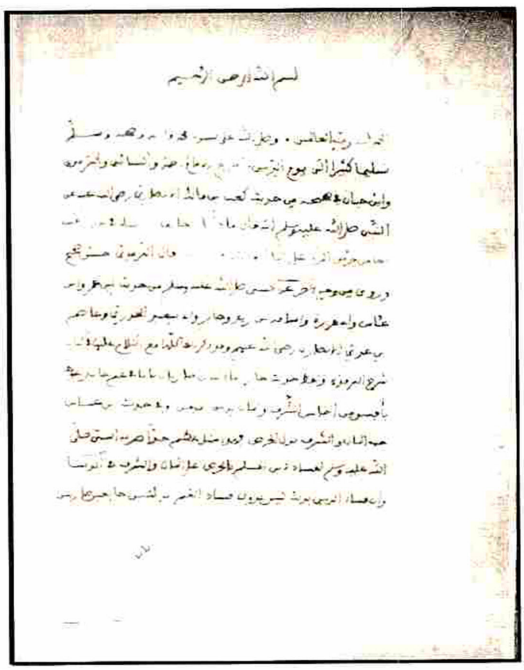

الصفحة الأولى من النسخة (د)

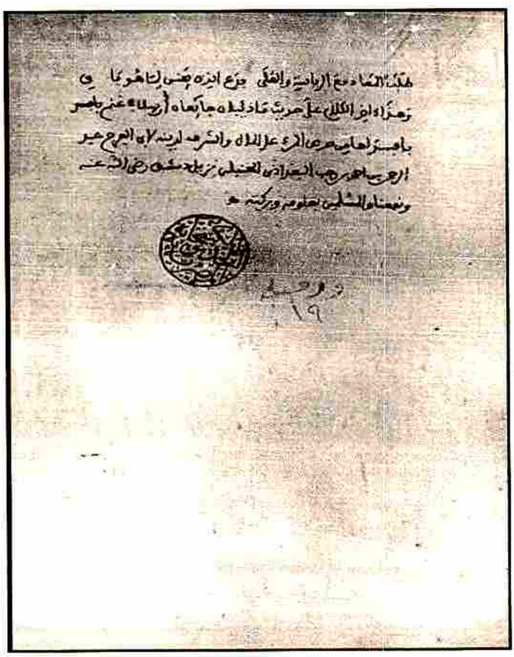

الصفحة الأخيرة من النسخة (د)

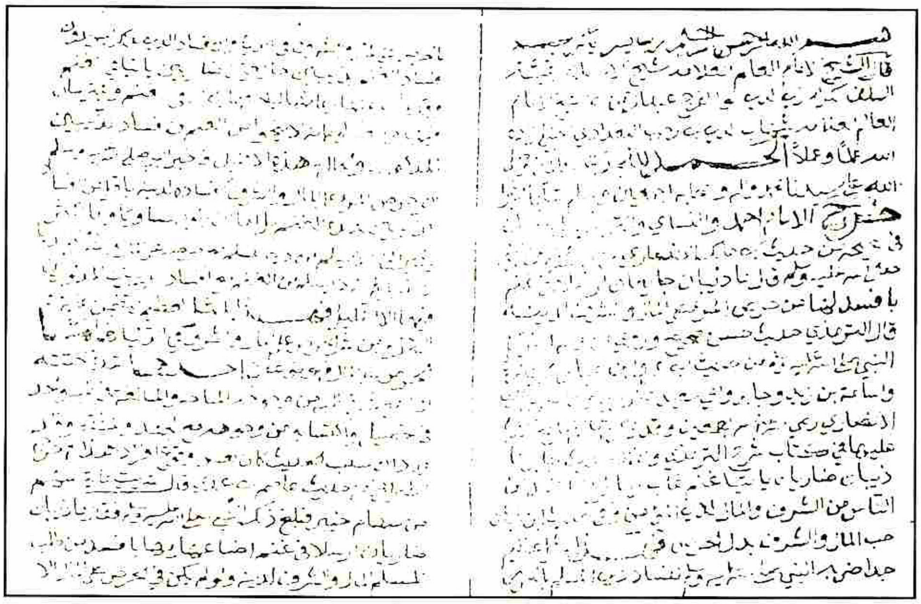

الصفحة الأولى والثانية من النسخة (جـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخُ الإمام شيخُ الإسلامِ وبقيةُ السَّلفِ الكرام، زينُ الدينِ أبو الفرج عبدُ الرحمنِ ابنُ رجب البغدادي الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على نبينا محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ أجمعين، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

خرَّجَ الإمامُ أحمدُ(١) والنَّسائيُّ(٢) والتِّرمذيُّ(٣) وابنُ حبانَ في «صحيحه»(٤)، من حديثِ كعب بنِ مالكٍ الأنصاريِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**ما ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلا في غَنمٍ بأفسدَ لَها مِنْ حِرْصِ المرءِ عَلَى المالِ والشَّرفِ؛ لدِينه**».

قال الترمذيُّ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

ورُوِيَ(٥) من وجهٍ آخرَ عن النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من حديث ابنِ عمرَ(٦)، وابنِ عبَّاسٍ(٧)، وأبي هريرةَ(٨)، وأسامةَ بنِ زيدٍ(٩)، وجابرٍ(١٠)، وأبي سعيدٍ الخدريِّ(١١)، وعاصمِ ابنِ عديٍّ الأنصاريِّ(١٢)، رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) «المسند» (٣/ ٤٥٦، ٤٦٠).
(٢) في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (١٠/ ١٣٦).
(٣) «سنن الترمذي» رقم (٢٣٧٦).
(٤) رقم (٣٢٢٨).
(٥) في (ب) و (ص) وروى ابن ماجه، والمثبت من (أ).
(٦) رواه البزار في مسنده رقم (٦١٢٩). وفي مسند الشهاب رقم (٨١٢).
(٧) رواه الطبراني في« الكبير» رقم (١٠٦٢٧).
(٨) رواه الطبراني في «الكبير» رقم (٣٢٠)، و«الأوسط» رقم (٧٧٢)، وأبو يعلى في مسنده رقم (٦٤٤٩)، وفي «مسند الشهاب» رقم (٨١١، ٨١٣).
(٩) رواه الطبراني في «الصغير» رقم (٩٤٣).
(١٠) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» رقم (٩٧٨٧).
(١١) رواه الطبراني في «الأوسط» رقم (٦٢٧٩).
(١٢) رواه الطبراني في «الكبير» رقم (١٣٨٩٦)، وفي «الأوسط» رقم (٦٣١٧، ٨١٦٦)، والحاكم في «المستدرك» رقم (٥٧٧١).

وقد ذكرتُها كلَّها مع الكلامِ عليها في كتابِ «شرحِ الترمذيِّ»[١].

ولفظُ حديثِ جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**ما ذئبانِ جائعان[٢] ضَارِيانِ باتا[٣] في غنمٍ غابَ رِعاؤُها[٤] بأفسدَ من حبِّ الشَّرفِ والمالِ؛ لدينِ المؤمن**».

وفي حديثِ ابن عباسٍ: «حُبُّ المالِ والشرفِ»، بدل: «الحرص».

❁ ❁ ❁

(١) «شرح الترمذي» لابن رجب، مفقود عجَّل الله العثور عليه.

(٢) كلمة: «جائعان» ساقطة من (أ)، و(د).

(٣) في (ب) و(ص): باتيا والمثبت من (أ).

(٤) في (أ) و(د): راعوها.

والرعاء: جمع راعي.

[شرح الحديث على وجه الإجمال]

فهذا مثلٌ عظيمٌ جدًّا ضربهُ النبي ﷺ لفسادِ دينِ المسلم بالحرصِ على المالِ والشَّرفِ في الدنيا، وأنَّ فسادَ الدينِ بذلكَ ليسَ بدونِ فسادِ الغنمِ بذئبين جائعينِ ضاريين باتَا في الغنمِ، وقد غابَ عنها رِعاؤُها ليلاً، فهما يأكلانِ في الغنمِ ويفترسانِ فيها.

ومعلومٌ أنَّه لا ينجو من الغنمِ من إفساد الذئبين المذكورين - والحالة هذه - إلا قليلٌ[1].

فأخبرَ النبيُّ ﷺ أنَّ حرص المرءِ على المالِ والشَّرفِ ليس[2] إفسادُه لدينه بأقلَّ من إفسادِ هذين الذئبينِ لهذه الغنم، بل إمَّا أن يكون مساويًا وإما أن يكون أزْيَدَ، يشيرُ إلى أنَّه لا يسلمُ من دينِ المرء المُسلم - مع حرصِه على المالِ والشَّرف في الدنيا- إلا القليل، كما أنَّه لا يسلمُ من الغنم - مع إفساد الذئبينِ المذكورين فيها - إلا القليل.

فهذا المثلُ العظيمُ يتضمن غايةَ التَّحذيرِ من شرِّ الحرصِ على المالِ والشَّرفِ في الدنيا.

❁❁❁

(١) في (ب): ومعلوم أنه لا ينجو والحالة هذه إلا قليل.
(٢) ليس ساقطة من (ص) و(جـ).

[أنواع الحرص على المال][1]

فأمَّا الحرصُ على المالِ فهو نوعانِ[2]:

أحدهما: شدةُ محبةِ المالِ، مع شدةِ طلبِه من وجوهِهِ المباحةِ، والمبالغةِ في طلبِهِ والجدِّ في تحصيلِهِ واكتسابِه من وجوهِهِ مع الجهدِ والمشقة.

وقد وردَ أنَّ سببَ الحديثِ كان وقوع بعضِ[3] أفراد هذا النوع، كما خرَّجهُ الطبرانيُّ من حديثِ عاصمِ بن عديٍّ[4]، قالَ: اشتريتُ مائةَ سهمٍ من سهامِ خيبر، فبلغَ ذلكَ النبيَّ ﷺ، فقالَ: «**ما ذئبان ضاريانِ ظَلا[5] في غنمٍ أضاعَها ربُّها بأفسدَ [لها][6] من طلبِ المسلمِ المالَ والشَّرفَ لدينِهِ**».

ولو لم يكن في الحرصِ على المالِ إلا تضييعُ العمرِ الشَّريفِ الذي لا قيمةَ له، وقد كان يمكنُ صاحبه فيه الفوزُ بالدرجاتِ العُلى والنعيم المقيم، فضيَّعَه بالحرصِ[7] في طلبِ رزقٍ مضمونٍ مقسوم، لا يأتيه منه إلا ما قُدِّرَ وقُسِمَ، ثم لا ينتفعُ به بل يتركُهُ لغيرِهِ، ويرتحلُ عنه، فيبقى حسابُه عليهِ ونفعُهُ لغيرِه، فيجمعُ لمن لا يحمدُه ويُقْدِمُ على من لا يعذرُه - لكفى بذلك ذمًّا للحرصِ.

---

(١) العناوين التي بين معقوفين من وضعنا.

(٢) في (أ): والحرص على المال نوعان.

(٣) في (ب): «بعض وقوع»، والمثبت من (أ).

(٤) في (أ): «عاصم بن علي». وقد تقدم تخريجه قريبًا.

(٥) ظلّا: ساقطة من(ب) و(ص)، وفي (جـ): أرسلا.

(٦) زيادة من (ب) وهي ثابتة في معجم الطبراني.

(٧) في (ص): الحريص.

فالحريصُ؛ يضيعُ زمانَه الشريفَ، ويخاطرُ بنفسهِ التي لا قيمةَ لها في الأسفارِ وركوبِ الأخطارِ لجمعِ مالٍ ينتفعُ به غيرُه!![1].

كما قيل:

ومن ينفقُ الأيامَ في جَمْع ماله ... مخافة فقر فالذي فَعَلَ الفقرُ[2]

ولا تحسبنَّ الفقرَ فقرًا من الغنى ... ولكنَّ فقرَ الدينِ حقًّا هو الفقر

قِيلَ لبعضِ الحكماء: إنَّ فلانًا جمعَ مالاً. قال: فهل جمعَ أيامًا ينفقُهُ فيها؟ قِيلَ: لا، قالَ: ما جَمَع شيئًا.

وفي بعض الآثارِ الإسرائيلية: الرزقُ مقسومٌ والحريصُ محرومٌ، ابنَ آدمَ! إذا أفنيتَ عمرَك في طلبِ الدنيا فمتَى تطلبُ الآخرةَ؟!.

إذا كنتَ في الدُّنيا عَنِ الخيرِ عاجزًا ... فما أنتَ في يومِ القيامةِ صانعُ[3]؟!

قال ابنُ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اليقينُ ألا تُرضيَ الناسَ بسخطِ الله، ولا تحسد أحدًا على رِزْقِ الله، ولا تَلُمْ أحدًا على ما لم يُؤْتِك اللهُ، فإنَّ الرزقَ لا يسوقُه حِرْصُ حريصٍ ولا يردُّه كراهةُ كارهٍ، فإنَّ اللهَ بقسطه وعلمه[4] جعلَ الرَّوْحَ[5] والفرحَ في اليقين والرِّضى، وجعلَ الهمَّ والحزنَ في الشكِّ والسخطِ[6].

---

(١) هكذا في (ب) و(ص) وفي (أ): يجمع ما لا ينتفع بغيره.

(٢) هذا البيت للمتنبي وهو في (ب) وفي (أ) و(ص) بيت آخر:

ومن لا يخشى فقد أمن الغنى ... ولكن فقر الدين من أعظم الفقر

وأثبتنا ما في (ب) لركاكة ما في (أ) و(ص) وعدم استقامة وزنه. وصوابه:

ولا تحسبنَّ الفقر فقرًا من الغني ... ولكنَّ فقر الدين من أعظم الفقر

والعجيب أن بعض من حقق هذه الرسالة على نسخ خطية يترك بيت المتنبي الثابت في ديوانه ويثبت البيت الثاني بما فيه من الخطأ. ثم وجدت البيتين معًا في (د) فأثبتهما.

(٣) هذا البيت ساقط من (أ).

(٤) في (أ) و(د): وعدله.

(٥) الرَّوْح: الراحة.

(٦) هذا الأثر أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٠٥)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٧٩٨).

ومِن كلامِ بعضِ السلفِ[(١)]: إذا كان القدرُ حقًّا فالحرصُ باطلٌ، وإذا كان الغدرُ في الناسِ طِباعًا فالثقةُ بكلِّ أحدٍ عجزٌ، وإذا كان الموتُ لكلِّ أحدٍ راصدًا فالطمأنينةُ إلى الدنيا حمقٌ.

كان عبدُ الواحدِ بنُ زيدٍ يحلف باللهِ؛ لحرصُ المرء على الدنيا أخوف عليه عندي من أعدى[(٢)] أعدائه.

وكان يقولُ: يا إخوتاه! لا تغبطُوا حريصًا على ثروةٍ ولا سعةٍ في مكسب ولا مالٍ، وانظروا إليه بعينِ المَقْتِ له في اشتغالِه اليوم بما يُرْدِيه غدًا في المعادِ ثمَّ يبكي، ويقول: الحرص حرصان: [فحرصٌ فاجعٌ وحرصٌ نافعٌ، فأما النَّافعُ: فحرصُ المرءِ على طاعةِ الله، وأما الفاجعُ][(٣)] فحرص المرء على الدنيا.

فالحريصُ على الدنيا[(٤)] معذّبٌ مشغولٌ [كاسف][(٥)] لا يُسَرُّ ولا يلتذُّ بجمعِه لشغله، ولا يفرغُ - من محبته الدنيا - لآخرتِه [لالتفاته لما يَفْنَى][(٦)]، وغفلتِه عما يدوم ويبقى.

وأنشد بعضُهم في هذا المعنى:

لا تغْبِطَنَّ أخًا حرصٍ على سَعَةٍ ... وانظرْ إليه بعينِ الماقِتِ القَالي

إنَّ الحريصَ لمشغولٌ بشِقْوَتِه ... عن السُّرورِ بما يَحْوِي من المالِ

---

(١) هذا الأثر رواه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (٣٥٧)، وفي «ذم الدنيا» (٢٢٨). أنه من كلام بعض الفرس.

(٢) كلمة: «أعدى» ساقطة من (أ).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٤) «فالحريص على الدنيا» زيادة من (د) وساقطة من النسخ الأخرى.

(٥) زيادة من (ص).

(٦) ساقطة من (ب)، و(ص).

وأنشد آخر في هذا المعنى:

يا جامعًا مانعًا والدهرُ يرمُقه ... مفكِّرًا أيَّ بابٍ منه يُغلِقُه

جَمَعْتَ مالاً فَفَكِّرْ هل جمعت له ... يا جامِعَ المالِ أيامًا تُفَرِّقُه

المالُ عندَك مخزونٌ لوارثه ... ما المالُ مالَكَ إلا يومَ تنفقُه

إنَّ القناعةَ من يَحلُلْ بساحتِها ... لم يلقَ في ظلِّها همًّا يؤرقُه[1]

كَتبَ بعضُ الحكماءِ إلى أخ له كان حريصًا على الدنيا:

أما بعد؛

فإنَّك أصبحتَ حريصًا على الدنيا، تخدمُها وهي تزجُرك[2] عن نفسِها بالأعراضِ والأمراضِ والآفاتِ والعِلَلِ، كأنَّك لم تَرَ حريصًا محرومًا، ولا زاهدًا مرزوقًا، [ولا ميتًا عن كثيرٍ، ولا مُتبَلِّغًا[3] من الدنيا باليسير][4].

عاتبَ أعرابيٌّ أخاهُ على الحرصِ[5]، فقالَ له: يا أخي! أنت طالبٌ ومطلوبٌ، يطلبكَ من لا تفوتُه، وتطلبُ أنتَ ما قد كُفِيتَه، كأنَّك - يا أخي - لم ترَ حريصًا محرومًا ولا زاهدًا مرزوقًا.

وقال بعضُ الحكماءِ: أطولُ النَّاسِ غمًّا الحسودُ، وأهنأهم عيشًا القَنوع، وأصبرُهم على الأذى الحريصُ، وأخفضُهم[6] عيشًا أرفضُهم للدنيا، وأعظمُهم ندامةً العالمُ المفرط.

---

(١) هذه الأبيات ساقطة من (أ).

(٢) في (أ): تجرجرك.

(٣) **متبلِّغًا**: مكتفيًا قانعًا راضيًا.

(٤) ساقط من (ب).

(٥) سقط بعض هذا الأثر من (جـ).

(٦) في (ب): وأخفهم. والكلمة ساقطة من (أ).

ولبعضهم في هذا المعنى:

الحرصُ داءٌ قد أضـ ـرَّ بمن تَرَى إلا قليلا
كم مِن عزيزٍ قد رأيـ ـتَ الحرصَ صَيَّرَهُ ذليلا[١]

وقال آخر:

كم أَنتَ للحِرْ صِ والأماني عَبْد
ليسَ يُجدي الحرصُ والسَّعيُ إذا لم يكن جد
ليس لما قدَّرَ اللهُ من الأمرِ بُد[٢]

[ولأبي العتاهية، يخاطبُ سَلْمًا الخاسر:

تعالى اللهُ يا سَلْمُ بنَ عَمْرٍو أذلَّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ][٣]

ومن كلام المأمونِ: الحرصُ مفسدةُ الدينِ[٤] والمروءةِ.

وأنشد بعضهم:

حرصُ الحريصِ جنونُ والصَّبرُ حِصْنٌ حصينُ
إن قدَّرَ اللهُ شيئًا فإنَّه سيكونُ

وأنشد بعضُهم:

حتَّى متى أنا في حلٍّ وترحالِ وطولِ سَعْيٍ وإدبارٍ وإقبالِ
ونازحُ الدَّارِ لا أنفكُّ مغتربًا عن الأحبةِ لا يدرونَ ماحالي

(١) البيت الثاني محرف في (ب) و(ص) والصواب ما في (أ) و(د).

(٢) الأبيات ساقطة من (أ).

(٣) ساقط من (ب).

(٤) في (أ) و(د): مفسد للدين.

بمشرقِ الأرضِ طورًا ثم مغربِها[١] لا يخطرُ الموتُ من حرصي على بالي
ولو قنعتُ أتاني الرزقُ في دعةٍ إنَّ القُنُوعَ الغِنَى لا كثرةَ المالِ

ولمحمود الورَّاق[٢]:

أيُّها المتعِبُ جهدًا نفسَه يطلبُ الدُّنيا حريصًا جاهدا
لا لك الدُّنيا ولا أنت لها فاجعل الهمَّينِ همًّا واحدا

النوع الثاني من الحرص على المال:

أن يزيدَ على ما سبق ذكرُهُ في النوعِ الأولِ، حتى يطلبَ المالَ من الوجوهِ المحرمةِ، ويمنعُ حقوقَهُ الواجبةَ؛ فهذا من الشّح المذمومِ.

قال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وفي «سننِ أبي داودَ»[٣]، عن عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو، عن النبي ﷺ قال: «**اتَّقوا الشُّحَّ؛ فإنَّ الشحَّ أهلكَ من كانَ قبلَكُم؛ أمرَهم بالقطيعة فقطعُوا، وأمرَهم بالبخلِ[٤] فبخلُوا، وأمرَهم بالفجورِ ففجروا**».

وفي «صحيحِ مسلمٍ»[٥]، عن جابرٍ، عن النبي ﷺ قال: «**اتَّقوا الشحَّ، فإنَّ الشحَّ أهلكَ من كان قبلكُم[٦]. حملَهم على أن سفكُوا دماءَكم، واستحلُّوا محارمَهم**».

---

(١) في (ب) و(ص): ثم مغتربًا، والمثبت من (أ) و(د).
(٢) كذا في (أ) و(د)، ولم يذكر صاحب البيتين في (ب) و(ص).
(٣) رقم (١٦٩٨). بلفظ: «إياكم والشح».
(٤) كلمة: «بالبخل» ساقطة من (أ).
(٥) رقم (٢٥٧٨) بلفظ: «**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشحَّ...**».
(٦) جاء في شرح النووي على «صحيح مسلم» (٤/ ١٩٩٦): «**واتقوا الشحَّ فإنه أهلك من كان قبلكم**»

قال طائفةٌ من العلماءِ: الشُّحُّ هو الحرصُ الشديدُ، الذي يحملُ صاحبَه على أن يأخذَ الأشياءَ من غيرِ حلِّها ويمنعها حقوقَها.

وحقيقتُه: شَرَهُ النَّفسِ إلى ما حرَّمَ اللهُ ومنَعَ منه، وألا يقنعَ الإنسانُ بما أحلَّ اللهُ لهُ من مالٍ أو فَرْجٍ أو غيرِهما.

فإنَّ الله تَعَالَىٰ أحلَّ لنا الطيباتِ من المطاعمِ والمشاربِ والملابسِ والمناكحِ، وأباح تناولها لنا من وجوهِ حِلِّها، وحرَّم علينا ما عدا ذلك من الخبائثِ، من المطاعمِ والمشاربِ والملابسِ والمناكحِ، وحرَّم تناول هذه الأشياء من غير وجوهِ حلِّها، وحرَّم علينا أخذَ الأموالِ وسَفْك الدماءِ بغيرِ حِلِّها، وأباح لنا دماءَ الكفارِ المحاربين[1] وأموالَهم.

فمن اقتصرَ على ما أُبيحَ له من ذلك فهو مؤمنٌ، ومن تعدَّى ذلك إلى ما مُنعَ منه فهو الشحُّ المذمومُ، وهو منافٍ للإيمان.

ولهذا؛ أخبرَ النبيُّ ﷺ: أنَّ الشحَّ يأمرُ بالقطيعةِ وبالفجورِ وبالبخلِ.

والبخلُ: هو إمساكُ الإنسانِ ما في يديه.

والشحُّ: تناولُ ما ليس له، ظلمًا وعدوانًا، من مالٍ أو غيرِه، حتَّى قيلَ: إنَّ المعاصي كلَّها منه.

وبهذا؛ فسر[2] ابنُ مسعودٍ وغيره من السَّلفِ الشحَّ والبخلَ.

قال القاضي: يحتمل أن هذا الهلاك هو الهلاك الذي أخبر عنهم به في الدنيا بأنهم سفكوا دماءهم، ويحتمل أنه هلاك الآخرة، وهذا الثاني أظهر، ويحتمل أنه أهلكهم في الدنيا والآخرة.

قال جماعة: الشح أشد البخل وأبلغ في المنع من البخل، وقيل: هو البخل مع الحرص، وقيل: البخل في أفراد الأمور والشح عام. وقيل: الشح الحرص على ما ليس عنده، والبخل بما عنده».

(١) في (أ): الكفار والمحاربين، والمثبت من (ب) و(ص) و(د) وهو الصواب؛ لأنه ليس كل كافر مباح الدم، ولم ينتبه إلى هذا المعنى بعض من حقق هذه الرسالة فأثبت الواو.

(٢) في (أ) و(ب) و(ص): وبهذا قرأ، وأثبتنا ما في (د).

ومن هنا؛ يعلمُ معنى حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**لا يجتمعُ الشحُّ والإيمانُ في قلبِ مؤمنٍ**»[1].

والحديثُ الآخرُ، عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قالَ: «**أفضلُ الإيمانِ الصَّبرُ والسماحةُ**»[2].

وفسِّر الصبرُ بالصَّبرِ عن المحارمِ، والسماحةُ بأداءِ الواجباتِ[3].

وقد يُستعملُ الشحُّ بمعنى البخلِ، وبالعكسِ، ولكنَّ الأصلَ هو التفريقُ بينهما[4]؛ على ما ذكرناه.

ومتى وصلَ الحرصُ على المالِ إلى هذه الدرجة، نقص بذلك الدينُ والإيمانُ نقصًا بينًا؛ فإنَّ منعَ الواجباتِ وتناولَ المحرماتِ ينقصُ بهما الدينُ والإيمانُ بلا ريبٍ، حتى لا يبقى منه إلا القليلُ جدًّا.

❁ ❁ ❁

---

(١) في (أ): مسلم. والحديث أخرجه النسائي رقم (٣١١٠، ٣١١١) بلفظ: «**ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبدٍ أبدًا**»، وأحمد في «المسند» (٩٦٩٣) بلفظ: «**لا يجتمع الشح والإيمان في جوف رجل مسلم**». والحديث صححه الألباني.

(٢) رواه الديلمي في مسند الفردوس عن معقل بن يسار، وصححه الألباني لشواهده كما في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٤٩٥)، وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٣٤٤) عن الحسن مرسلًا.

(٣) فسَّره بذلك الحسن كما في «حلية الأولياء» (٢/ ١٥٦).

(٤) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «والفرق بين الشح والبخل أن الشح هو شدة الحرص على الشيء، والإحفاء في طلبه، والاستقصاء في تحصيله، وجشع النفس عليه، والبخل: منع إنفاقه بعد حصوله وحبه وإمساكه، فهو شحيح قبل حصوله بخيل بعد حصوله، فالبخل ثمرة الشح، والشح يدعو إلى البخل، والشح كامن في النفس، فمن بخل فقد أطاع شحه، ومن لم يبخل فقد عصى شحه ووقي شره، وذلك هو المفلح ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]» «الوابل الصيب» (ص: ٤٩).

فَصْلٌ

[أنواع الحرص على الشرف]

وأما حِرصُ المرءِ على الشَّرفِ؛ فهو أشدُّ هلاكًا من الحرصِ على المالِ، فإنَّ طلبَ شرفِ الدنيا والرفعةِ فيها، والرياسةِ على النَّاسِ والعلوِّ في الأرضِ أضرُّ على العبدِ من طلب المالِ، وضررُه أعظمُ، والزُّهدُ فيه أصعبُ، فإنَّ المالَ يُبذلُ في طلبِ الرِّياسةِ والشَّرفِ.

والحرص على الشَّرفِ على قسمين:

أحدهما: طلب الشَّرفِ بالولايةِ والسُّلطانِ والمال.

وهذا خَطرٌ جدًّا، وهو في الغالبُ يمنعُ خيرَ الآخرةِ وشرَفها وكرامَتها وعزَّها.

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

وقلَّ[(١)] من حَرَصَ على رياسةِ الدنيا بطلب الولايات فَوُفِّقَ[(٢)]، بل يُوكلُ إلى نفسِهِ، كما قال النبيُّ ﷺ لعبدِ الرَّحمنِ بنِ سَمُرةَ رضي الله عنه: «**يا عبدَ الرحمنِ! لا تسألِ الإمارةَ؛ فإنَّكَ إن أُعطيتَها عن مسألةٍ وُكِلتَ إليها، وإنْ أُعطيتَها عن غيرِ مسألةٍ أُعنتَ عليها**»[(٣)].

قال بعضُ السلفِ: ما حَرَصَ أحدٌ على ولايةٍ فعدل فيها.

---

(١) في (أ): وقيل.

(٢) في (أ): لم يوفق.

(٣) أخرجه البخاري رقم (٦٦٢٢، ٦٧٢٢، ٧١٤٦)، ومسلم رقم (١٦٥٢).

وكان يزيدُ بنُ عبدِ الله بنِ موهبٍ من قضاةِ العدلِ والصَّالحين، وكان يقولُ: من أحبَّ المالَ والشَّرفَ وخافَ الدوائِرَ لم يعدلْ[١].

وفي «صحيح البخاريِّ»[٢]. عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**إنَّكم سَتحرصونَ على الإمارةِ، وستكونُ ندامةً يومَ القيامةِ، فنعمتِ المرضعةُ، وبئستِ الفاطمةُ**»[٣].

وفيه أيضًا[٤] عن أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رجلين قالا للنبيِّ ﷺ: يا رسول اللهِ! أمِّرنا. قال: «**إنَّا لا نُوَلِّي أمرنَا هذا من سألَهُ، ولا من حرصَ عليه**».

واعلمْ أنَّ الحرصَ على الشرفِ بطلبِ الولاياتِ يستلزمُ [شرًّا][٥] عظيمًا قبل وقوعه بالسَّعْيِ في أسبابِه، وبعدَ وقوعِه بالخطرِ العظيمِ الذي يقعُ فيه صاحبُ الولايةِ من الظلمِ والتكبرِ وغير ذلك من المفاسدِ.

وقد صنَّفَ أبو بكرِ الآجري - وكان من العلماءِ الرَّبَّانيين في أوائلِ المائةِ الرابعة - مصنفًا في «أخلاقِ العلماءِ وآدابهم»، وهو من أجلّ ما صُنِّف في ذلك، ومن تأمَّله علمَ منه طريقةَ السَّلف من العلماءِ والطرائقَ التي حَدَثَتْ بعدَهُم المخالفةَ لطرائقِهم، فوصفَ فيه عالمَ السوء بأوصافٍ طويلة.

---

(١) في (ب) و(ص): لم يعدل فيها.

(٢) رقم (٧١٤٨).

(٣) قوله: «فنعمت المرضعة» أي الحالة الموصلة إلى الإمارة وهي الحياة. «وبئست الفاطمة» أي الحالة القاطعة عن الإمارة وهي الموت. أي فنعمت حياتهم وبئس موتهم. (حاشية السندي على النسائي (٧/ ١٦٢).

(٤) «صحيح البخاري» رقم (٧١٤٩). ورواه مسلم أيضًا (١٧٣٣).

(٥) ساقطة من (ب) و(جـ).

منهـا: أنَّـه قال: قد فَتنَـه حبُّ الثناءِ[١] والـشَّرفِ والمنزلةِ عند أهـلِ الدنيا، يتجمَّلُ بالعلمِ كما يتجمَّلُ بالحُلَّةِ الحسناءِ للدنيا، ولا يُجمِّل علمَه بالعملِ به.

وذكـر كلامًـا طويلاً، إلى أن قال: فهذه الأخلاقُ وما يشـبهُها تغلـبُ على قلبِ من لم ينتفعْ بالعلمِ.

فبينا هو مقارفٌ[٢] لهذه الأخلاقِ إذ رَغَّبَته نفسُه[٣] في حبِّ الـشرَفِ والمنزلةِ فأحبَّ مجالسـةَ الملوكِ وأَبناءِ الدُّنيا، فأحبَّ أن يُشـاركَهم فيما هم فيهِ من رَخاءِ عيشِـهِم من مَنزلٍ بهيٍّ، ومَركبٍ هَنيٍّ، وخادمٍ سَريٍّ، ولباسٍ لَينٍ، وفراشٍ ناعمٍ وطعامٍ شَـهيٍّ، وأحبَّ أن يُغْشَى بابهُ، وأن يُسمعَ قولُه ويُطاعَ أمرُهُ.

فَلم يَقدرْ عليه إلا من جِهةِ القَضاءِ فَطلبَهُ، فَلم يُمْكنهُ إلا بِبذلِ دينِهِ، فتذلَّلَ للمُلوكِ وأتباعِهِم، فَخدمَهُم بِنفسهِ[٤] وأكرمَهُم بمالِهِ وسَكتَ عن قَبيحِ مَا ظهرَ من مَناكِرِهم على أبوابِهم وفي منازلهم، ومن قولهم وفعلهم.

ثم زينَ لهم كثيرًا من قبيح أفعالِهم بتأويلِهِ الخطأ ليُحسِّنَ موقِعَه عِندَهم.

فلـما فعـلَ هـذا مُـدةً طويلـةً واسْـتحكمَ فيـهِ الفسـادُ وَلَـوْهُ القضـاءَ، فَذُبِـحَ بغيرِ سِـكِّينٍ، فصـارتْ لهم عليـهِ مِنَّةٌ عظيمـةٌ، ووجبَ عليه شُـكرُهم، فألزمَ نفسَـه ذلك لئلا

---

(١) في (أ) و(د): حب المال.

(٢) في (ب) و(جـ): مقارب.

ومعنى مقارف: فاعل ومرتكب.

(٣) في (ب): زهقت نفسه.

(٤) في (أ): وخدامهم بنفسه.

يُغضبَهُم[1] عليه فَيعزلوهُ عن القضاءِ، ولم يَلتَفتْ إلى غَضبِ مَولاهُ؛ فاقتطعَ أموالَ اليتامَى والأراملِ والفُقراءِ والمساكين، وأموالَ الوَقفِ على المجاهدينَ وأهلِ الشرفِ بالحرمينِ، وأموالًا يعودُ نفعُها على جميع المسلمين، فأرضى بها الكاتبَ والحاجبَ والخادمَ، فأكلَ الحرامَ وأطعمَ الحرامَ، وكثُرَ الدَّاعي عليهِ، فالويلُ لمنْ أورثَهُ علمُهُ هذهِ الأخلاقَ.

فهذا العلمُ هو الذي استعاذَ منهُ النبيُّ ﷺ وأمر أن يُستعاذَ منهُ، وهذا العالمُ[2] الذي قالَ فيه النبي عليهِ أفضل الصلاة والسلام: «**إنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذابًا عَالمٌ لَمْ يَنْفَعهُ اللهُ بِعِلمِه**»[3].

وكان ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ إني أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، وَمِن قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، ومن نَفسٍ لا تَشْبَعُ، وَمِنْ دُعَاءٍ لا يُسْمَعُ**»[4].

وكان عَلَيْهِ السَّلَامُ يقولُ: «**اللَّهُمَّ إنِّي أَسأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلمٍ لا يَنْفَعُ**»[5].

---

(١) سياق (أ) و(د)، وفي (ب) و(ص): فألم نفسه لئلا يغضبهم.

(٢) في (أ) و(ب) و(ص): العلم، وأثبت ما في (د).

(٣) أخرجه ابن عساكر (٥٦/ ٣٠٧)، والقضاعي في «مسند الشهاب» رقم (١١٢٢)، وابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٥٥)، والبيهقي في «الشعب» (١٦٤٢). وقال الألباني: ضعيف الإسناد جدًّا كما في «السلسلة الضعيفة» رقم (١٦٣٤).

(٤) أخرجه أبو داود رقم (١٥٥٠)، والنسائي رقم (٥٤٦٧)، وابن ماجه رقم (٢٥٠)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٤٠) من حديث أبي هريرة، وصححه الألباني. وأخرجه مسلم من حديث زيد بن أرقم مرفوعًا، إلا أنه قال: «ومن دعوة لا يستجاب لها» بدل: «ومن دعاء لا يسمع».

(٥) أخرجه النسائي في «الكبرى» رقم (٧٨٦٧)، والطبراني في «الأوسط» رقم (٩٠٥٠)، وابن حبان رقم (٨٢) من حديث جابر. وقال الألباني في تعليقه على صحيح ابن حبان: حسن صحيح.

هـذا كلُّه كـلامُ أبي بَكرٍ الآجُـرِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكان في أوائـلِ المائةِ الرابعـةِ[1]، ولم يَزَلْ الفسادُ بعدَه يتزايدُ على ما ذكره أضعافًا مضاعفةً، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ.

❁❁❁

(١) في (أ) و(ص): في أوائـل الثلاثمائـة، وفي (د): «أواخـر الثلاثمائـة»، وأثبتنا مـا في (ب) و(جـ)؛ لأن الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ توفي سنة ٣٦٠هـ.

[من دقيق آفات حبّ الشرف بطلب الولايات]

ومن دقيقِ آفاتِ حُبِّ الشرفِ بطَلَبِ الولاياتِ والحرصِ عليها- وهو بابٌ غامضٌ لا يعرفُهُ إلا العلماءُ بالله تَعَالَى، العارفون به، المحبونَ له، [الذين يُعادُون له، ويحبُّون فيه مع حَقَارَتِهم عند الناسِ وهم خَوَاصُّ عبادِه][(١)]، الذين يُعادَوْن لهُ مِنْ جَهَالَةِ خَلقِهِ المزاحمين[(٢)] لِربُوبِيَّته وإلهيته مع حَقَارتِهِم وسقوطِ منزلتِهم عندَ اللهِ، وعندَ خَواصِّ عبادِه العَارِفِين به.

كما قال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ فيهم: وإن طَقْطَقَتْ[(٣)] بِهِمُ البِغَالُ وهَمْلَجَتْ[(٤)] بِهِمُ البَرَاذِينُ[(٥)] فَإنَّ ذُلَّ المعْصِيةِ في رِقابِهِمْ، أَبي اللهُ إلا أنْ يُذلَّ مَنْ عَصَاهُ[(٦)]- أنَّ حُبَّ الشَّرفِ بالحرصِ على نُفوذِ الأمرِ والنَّهي وتَدبيرِ أَمرِ الناسِ، إذا كان القصدُ بذلك مُجردَ علوِّ المنزلة على الخَلْقِ، والتَّعاظمِ عَليهِم وإظهار صاحبِ هذا الشرفِ حاجةَ الناسِ إليه وافتقارَهُم إليه، وذُلَّهُم لهُ في طَلَبِ حَوائِجِهم منهُ.. فَهذا نفسهُ مُزَاحِمَةٌ لرُبوبيةِ اللهِ وإلهيتهِ.

---

(١) زيادة من (ب).

(٢) في الأصول: «المزاحمون» وهو خطأ، والتصويب من (د).

(٣) **طقطقت**: صوتت.

والطقطقة: صوت حوافر الدواب على الأرض.

(٤) **الهملجة**: حسن سير الداية في سرعة وسهولة.

(٥) **البراذين**: جمع برذون وهي الدابة وهو يطلق على غير العربي من الخيل والبغال.

(٦) إلى هنا انتهت الجملة الاعتراضية، ويكون ترتيب الكلام: «ومن دقيق آفات حبّ الشرف بطلب الولايات والحرص عليها، أن حبَّ الشرفِ بالحرص على نفوذِ الأمر والنهي....» إلخ.

وربما تسببَ بعضُ هؤلاءِ إلى إيقاعِ الناسِ في أمرٍ يحتاجُون فيهِ إليهِ؛ ليضطرَّهم بذلك إلى رفعِ حاجاتهم إليه، وظهورِ افتقارهم واحتياجِهم إليه، ويتعاظمُ بذلك ويتكبَّر بهِ، وهذا لا يصْلحُ إلا للهِ تَعَالَىٰ وحدَه لا شريكَ لهُ.

كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢]

وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ [الأعراف: ٩٤].

وفي بعض الآثار: إن الله تَعَالَىٰ لَيبتليَ عبدَهُ بالبلاءِ لِيسمعَ تضرعَهُ.

وفي بعضِ الآثارِ أيضًا: إنَّ العبدَ إذا دعا اللهَ تَعَالَىٰ وهو يحبُّهُ قالَ الله تَعَالَىٰ: «**يا جِبْريلُ! لا تَعْجَلْ بِقَضَاءِ حَاجَتِهِ، فإنِّي أحِبُّ أنْ أسْمَعَ تَضَرُّعَهُ**».

فَهَذِه الأمورُ أصعبُ وأخطرُ من مجردِ الظلمِ وأدهى من الشِّرك، والشركُ أعظمُ الظُّلمِ عندَ اللهِ.

وفي «الصحيح» عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «[**قالَ اللهُ تَعَالَىٰ**][1]: **الكِبرياءُ رِدائي، والعَظَمَةُ إزارِي، فَمَنْ نَازَعَني فيهما عَذَّبْتُهُ**»[2].

كان بعضُ المتقدمينَ قاضيًا، فرأى في مَنَامِه كأنَّ قائلاً يقول: أنتَ قاضٍ، واللهُ قاضٍ. فاستيقظَ مُنزعجًا وخَرَجَ عنِ القضاءِ وتَرَكَهُ[3].

---

(١) ساقطة من (أ).

(٢) أخرجه مسلم رقم (٢٦٢٠) من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولفظه: «**العزُّ إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته**». وقريب من لفظ المؤلف ما أخرجه أبو داود رقم (٤٠٩٢)، وابن ماجه (٤١٧٤، ٤١٧٥)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٤١٤، ٤٢٧).

(٣) في (أ) و(د): منزعجًا وترك القضاء.

وكانَ طائفةٌ من القضاةِ الوَرِعينَ يمنعونَ النـاسَ أن يَدعُوهم بـ «قاضي القضاةِ»، فإن هذا الاسم يُشبهُ «مَلِكَ الملوكِ» الذي ذمَّ النبيُّ ﷺ التَّسميةَ بهِ. وقال: «لا مَلِكَ إلا الله»[1].

و«حاكِمُ الحُكَّامِ» مِثْلُهُ أو أَشَدُّ منه.

❁ ❁ ❁

(١) رواه مسلم رقم (٢١٤٣) بلفظ: «أغيظ رجلٍ على الله يوم القيامة وأخبثُه وأغيظه عليه رجل يُسَمَّى ملك الأملاك؛ لا ملك إلا الله».

[ذمُّ محبة الثناء والحمد]

ومِـن هـذا الباب - أيضًا - أن يُحبَّ ذُو الشرفِ والولايةِ أن يُحمَدَ على أفعالِهِ ويُثْنَى عليـه بهـا، ويَطلبُ من النـاسِ ذلك، ويَتَسـببُ في أذى من لا يُجيبهُ إليـهِ، ورُبما كانَ ذلك الفِعل إلى الذمِّ أقربَ منهُ إلى المدحِ، ورُبما أظهر أمرًا حسنًا في الظاهرِ، وأحبَّ المدحَ عليهِ، وقَصَدَ بِهِ في الباطِنِ شرًّا وفَرِحَ بتَمْويهِ[1] ذَلكَ وترويجِه على الخلقِ.

وهذا يدخلُ في قولهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨].

فـإن هذه الآيةَ إنَّما أنزلـتْ فِيمَن هذِهِ صِفَتُهُ، وهذه الصفـةُ[2] - أعني طلب المدحِ مِنَ الخلقِ ومحبَّتَهُ والعقوبةَ على تركِهِ - لا تصلحُ إلا للهِ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ.

ومِـن هُنـا؛ كـان أئمةُ الهُـدى يَنهَوْنَ عَـن حَمدِهِم عـلى عَدْلِهِم وما يَصـدُرُ مِنهم من الإحسـانِ إلى الخلقِ، ويأمرونَ بإضافةِ الحمدِ على ذلكَ إلى الله تَعَالَىٰ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، فإن النِّعَمَ كُلَّها مِنْهُ.

وكانَ عمرُ بنُ عبد العزيزِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ شَديدَ العنايةِ بذَلكَ، وكتبَ مرةً إلى أهل الـمَوسمِ كِتابًـا يُقرأُ عليهِم، وفيه الأمرُ بالإحسـانِ إليهم وإزالةُ مظـالمَ كانَتْ عليهِم، وفي الكتاب: «وَلا تَحْمدُوا عَلَى ذَلِكَ كلِّه إلا الله، فَإِنَّه لَوْ وَكَلَنِي إلى نَفْسِي كُنْتُ كَغَيْرِي...».

وحِكايتُـه معَ المرأةِ التي طلبتْ منهُ أن يفرضَ لِبَناتِها اليتامى مَشـهورةٌ، فإنها كانتْ لها أربعُ بناتٍ، فَفرض لاثنتينِ مِنهنَّ وهِي تَحْمِدُ اللهَ، ثُمَّ فرضَ للثالثةِ فشَكرتْهُ، فَقالَ: إنَّما

---

(١) في (ب) : وقصد تمويه. وفي (ص) : وقصد بتمويه.

(٢) في (ب) و(جـ) و (ص) : « وهذه القصة ». وفي (أ): صفة، والمثبت من (د).

كُنَّـا نَفرضُ لَـهُنَّ حَيثُ كُنتِ تَولينَ الحمدَ أهلَهُ، فَمُري هؤلاء الثَلاثَ يُواسِـينَ الرابعةَ.. أو كما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وحاصـلُ الأمـرِ أنَّ يُعـرف أن ذا الولايةِ(١) إنـما هو مُنتصِبٌ لِتنفيـذِ أمرِ الله تَعَالَىٰ، وآمـرٌ العبادَ بِطاعتِهِ تَعَالَىٰ، [وناهٍ لهمْ عن محارم الله، ناصحٌ لعبادِ اللهِ بِدُعائهم إلى اللهِ، فَهُو يقصدُ أن يكونَ الدينُ كُلُّهُ للهِ](٢)، وأن تكونَ العزَّةُ للهِ، وهو مع ذلك خائفٌ مِن التقصيرِ في حقوقِ الله.

وأيضًـا فـإن الـمُحبـينَ للهِ غايـةُ مَقاصِدِهم(٣) مِـنَ الخلـقِ أن يُحِبُّـوا اللهَ ويُطيعوهُ، ويُفردوه(٤) بالعبوديةِ والإلهيةِ، فكيفَ يزاحمونه في شيء من ذلك، فهو لا يريدُ مِنَ الخلقِ جزاءً ولا شُكورًا، وإنَّما يَرجُو ثوابَ عملِهِ مِن اللهِ(٥).

كـما قـال الله تَعَالَىٰ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩ - ٨٠].

وقـال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لا تُطْرُوني كَمَـا أَطْرَتِ النَّصارَى المَسِـيحَ عيسـى(٦) ابنَ مَرْيَمَ، فإنَّما أنَا عبدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُه»**(٧).

---

(١) في (ب) و(ص): أن تعرف ذا الولاية.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (جـ).

(٣) في (ب): مقصودهم.

(٤) في (ب) و(جـ) و(ص): ويعرفوه، وأثبتنا ما في (أ) و(د).

(٥) من الله: ساقطة من (أ).

(٦) عيسى: زيادة من (أ) و(د).

(٧) أخرجه البخاري رقم (٣٤٤٥)، **والإطراء**: المبالغة في المدح والثناء. والمنهي عنه ليس هو مدح النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإنما هو الغلو في مدحه بما يخرجه عن مقام النبوة كما فعلت النصارى في عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وكان ﷺ يُنكرُ عَلى مَن لا يتأدَّبُ معهُ في الخِطابِ بهذا الأدَبِ، كما قال: «**لا تَقُولُوا: مَا شَاء الله وشَاء محمَّدٌ، بَلْ قُولوا: مَا شاءَ اللهُ ثُمَّ شاءَ محمَّدٌ**»(١).

وقال لمن قال له(٢): مَا شَاء اللهُ وشئتَ: «**أَجَعَلْتَنِي واللهَ عَدْلا**(٣)، **بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وحدهُ**»(٤).

فَمِن هنا؛ كان خُلفاءُ الرسلِ وأَتباعُهم مِن أُمراءِ العدلِ وقُضاتُهم لا يَدْعُونَ إلى تعظيمِ نُفُوسِهم أَلْبَتَّةَ، بَلْ إلى تَعظيم اللهِ وحدَهُ، وإفرادِهِ بالعُبوديةِ، والإلهيةِ، ومِنهُم مَن كانَ لا يريدُ الوِلايةَ إلا لِلاستعانةِ بها على الدعوةِ إلى اللهِ وحدهُ.

وكانَ بعضُ الصالحينَ يتولَّى القضاءَ ويقولُ: إنَّما(٥) أَتولاهُ لأستَعينَ بِه على الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكَرِ.

ولهذا؛ كانتِ الرُّسلُ وأَتباعُهم يَصبرون على الأذى في الدعوةِ إلى اللهِ، ويتحملونَ في تنفيذِ أوامرِ الله تَعَالَىٰ من الخلقِ غايةَ المشقةِ وهُم صابرونَ، بَل رَاضونَ بذلكَ، فإن المُحبَّ رُبَّما يتلذذُ بِما يُصيبهُ مِنَ الأذى في رضى مَحبوبِه، كما كان عبدُ الملك بنُ عمرَ بن عبدِ العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقولُ لأبيهِ في خلافتِهِ - إذا حَرَّضه(٦) على تنفيذِ الحقِّ وإقامةِ العدلِ -: يا أَبَتِ! لَوَدِدْتُ أَنَّه لو غَلَتْ بي وبكَ القُدُور في اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه رقم (٢٦٩٩)، والبزار في مسنده رقم (٢٨٣٠). وهو عند أحمد في «المسند» (٥/ ٧٢) بلفظ: «**لا تقولوا ما شاء الله وما شاء محمد**».

(٢) له: ساقطة من (ب).

(٣) في (ب): أجعلتني لله ندًّا، وفي (جـ): «أجعلتني لله عدلًا».

(٤) أخرجه النسائي في «الكبرى» رقم (١٠٨٢٥)، وأحمد في «المسند» (١/ ٢١٤)، والبيهقي في «الكبرى» (٥٦٠٣). ومعنى: أجعلتني والله عدلا: أي مثلا ونظيرًا.

(٥) في (أ) و(ص): أنا أتولاه.

(٦) في (ب) و(ص): حرص، والمثبت من (أ).

وقال بعضُ الصَّالحين: ودَدتُ أنَّ جِسـمي قُرِضَ بالمقاريضِ وأنَّ هذا الخلقَ كُلَّهم أطاعوا اللهَ عَزَّوَجَلَّ.

فعُرِضَ قولُه على بعضِ العارفين[١] فقال: إن كانَ أرادَ بذلك النصيحةَ للخلقِ وإلا فلا أدري. ثم غُشِيَ عليهِ.

ومعنى هذا: أنَّ صاحبَ هذا القولِ قد يكونُ لَحَظَ نُصحَ الخلقِ والشفقةَ عليهِم من عذابِ اللهِ، وأَحبَّ أن يفدِيَهم من عذابِ الله بأذَى نفسهِ.

وقـد يَكونُ لَحَظَ جلالَ اللهِ وعظمتَه وما يسـتحقُّهُ من الإجـلالِ والإكرَامِ والطَّاعةِ والمحبـةِ، فَـوَدَّ أنَّ الخلـقَ قامُوا لـه[٢] بذلك، وإن حَصَلَ له في نفسِـهِ غايـةُ الضررِ، وهذا هو مَشـهدُ خـواصِّ الـمُحبـينَ والعَارفينَ، وبمُلاحظتِهِ غُشِـيَ على هـذا الرجل العارف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد وصفَ اللهُ سُبْحَانَهُ في كتابِهِ المحبينَ لهُ بأنهم: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ﴾[٣] [المَائِدَة: ٥٤].

وفي ذلك يقول بعضهم[٤]:

أجِـدُ المـلامَـةَ فِـي هـواكَ لَـذِيـذَةً ... حُـبًّـا لـذِكْـرِك فَـلْـيَـلُـمْـنِي اللُّوَّم

❁❁❁

(١) في (ب) و(ص): عـلى بعـض المتقدمـين. وأثبتنـا ما في (أ) لأنـه قال في نهاية القصـة: فغشي على هذا الرجل العارف.

(٢) له: زيادة من (أ).

(٣) أثبتنا هذه الفقرة من (ب).

(٤) في (ب): وفي ذلك قيل.

القسم الثاني

طلبُ الشـرفِ والعُلوِّ على الناسِ بالأمورِ الدِّينيةِ؛ كالعِلمِ والعَملِ والزُّهدِ.

فهذا؛ أفحشُ مِن الأولِ وأقبحُ، وأشدُّ فسادًا وخطرًا؛ فَإنَّ العلمَ والعملَ والزهدَ إنَّما يُطلبُ بها الشرفُ عندَ اللهِ والقربُ منه والزلفى لديه ويطلبُ بها ما عند اللهِ من الدرجاتِ العلى والنعيمِ المقيمِ لديه[١].

قال [سفيانُ][٢] الثوري: «إنَّما فَضُل العِلم لأَنَّهُ يُتَّقَى بِهِ الله تَعَالَى، وإلا كَانَ كَسائرِ الأَشياءِ».

فَإذا طُلِبَ بِشيءٍ مِنْ هَذا عَرَضُ الدُّنيا الفاني فهو - أيضًا - نوعانِ:

أحدُهما: أن يُطلبَ بِهِ المالُ، فهذا من أنواعِ[٣] الحرصِ على المالِ وطلبِهِ بالأسْبابِ المُحَرَّمَةِ.

وفي هذا جاء الحديثِ[٤] عن النبي ﷺ: «**مَنْ تَعَلَّمَ عِلمًا ممَّا يُبْتَغَي بِهِ وَجْهُ اللهِ لا يَتَعَلَّمُهُ إلا ليُصيبَ بِهِ عَرَضًا في الدَّنيا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القيامةِ**[٥]»... يعني: ريحَها.

خَرَّجهُ: الإمامُ أحمدُ[٦]، وأبو داودَ[٧]، وابن ماجه[٨]، وابنُ حبانَ[٩] في «صحيحه» من حديثِ أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ.

---

(١) أثبتنا هذه الفقرة من سياق (د) نظرًا للاختلاف بين الأصول.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) في (ص): من نوع.

(٤) في (ب) و(ص): وفي هذا الحديث.

(٥) يوم القيامة: ساقطة من (أ).

(٦) «المسند» (٢/ ٣٣٨).

(٧) «سنن أبي داود» رقم (٣٦٦٤).

(٨) «سنن ابن ماجه» رقم (٢٥٢).

(٩) «صحيح ابن حبان» رقم (٧٨). وأخرجه الحاكم في «المستدرك» رقم (٢٨٨)، وابن أبي شيبة في

وسببُ هذا - واللهُ أعلمُ -: أنَّ في الدُّنيا جنةً مُعَجَّلَةً وهي مَعرفةُ الله تَعَالَىٰ ومَحبَّتُهُ والأُنسُ بِهِ والشَّوقُ إلى لقائِهِ[(١)] وخَشْيتُهُ وطَاعَتُهُ، والعلمُ النافعُ يدلُّ على ذَلِكَ، فمن دلَّهُ عِلمُهُ على دُخولِ هذه الجنةِ المُعَجَّلةِ في الدُّنيا [دَخَلَ الجنةَ في الآخرة][(٢)]، ومن لم يَشُم رائحتَها لم يَرَح[(٣)] رائحة الجنة في الآخرةِ.

ولهذا كان أشد الناسِ عذابًا في الآخرة عالمٌ لم يَنْفعهُ اللهُ بِعلمِهِ، وهُو من أشدِّ الناسِ حَسرةً يومَ القِيامةِ، حيثُ كان معهُ آلةٌ يتوصَّلُ بها إلى أعلى الدَّرجاتِ وأرفعِ المقاماتِ، فلم يَستعملها إلا في التوصُّلِ إلى أخَسِّ الأمورِ وأدناهَا [قيمةً][(٤)] وأحقرِهَا، فهو كَمن كانت معهُ جواهِرُ نفيسةٌ لها قيمةٌ عظيمة فَباعها بِبَعرٍ، أو بشيء مُستقذَرٍ لا يُنتَفَعُ بهِ، فهذا حالُ مَن يطلبُ الدنيا بعلمِهِ.

وأقْبَحُ من ذلك[(٥)] مَنْ يَطْلُبُها بإظهارِ الزهدِ فيها، فإنَّ ذلك خِداعٌ قبيحٌ جدًّا.

وكان أبو سليمان الدَّارانيُّ يعيبُ على مَن لبِسَ عَباءةً وفي قلبِهِ شهوةٌ من شهواتِ الدنيا تساوي أكثرَ من قيمةِ العباءةِ.

يشيرُ: إلى أنَّ إظهارَ الزهدِ في الدنيا باللباس الدنيء، إنما يَصْلُحُ لمن فَرَّغَ قَلْبَهُ مِن التَّعلُّقِ بها، بحيثُ لا يَعْلَقُ قلبُهُ منها بأكثرَ من قيمةِ مَا لَبِسَهُ في الظاهرِ، حتى يَستويَ ظاهرُهُ وباطنُهُ في الفراغِ من الدُّنيا.

«المصنف» رقم (٢٦١٢٧)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (١٠٥).

(١) في (ص): والشوق إليه.

(٢) ساقطة من (ب) وفي (ص): دلَّه على جنة الآخرة، وأثبتنا ما في (أ) و(د).

(٣) في (ب) و(ص): لم يشم، وهو نفس المعنى.

(٤) زيادة من (ب).

(٥) في (أ): أقبح وأقبح وكذلك من يطلبها.

وما أحسنَ قولَ بعضِ العارفينَ وقد سُئِلَ عن الصوفيِّ فقال:

الصُّوفيُّ:

مَنْ لَبِسَ الصُّوفَ عَلَى الصَّفَا، وسَلَكَ طَرِيقَ المُصطَفَى، وأذاق[1] الهوى طعْمَ الجَفَا، وَكَانَتِ الدُّنْيَا مِنْهُ خَلْفَ القَفَا.

النوع الثاني: من يطلب العلمَ والعملَ والزهدَ للرئاسةِ على الخلقِ والتعاظُمِ عليهم، وأن ينقادَ الخلقُ ويَخضعوا لهُ ويَصرِفوا وجوهَهم إليهِ، وأن يُظْهِرَ للناسِ زِيادةَ عِلْمِهِ على العُلماءِ؛ ليعلموا فَضْلَه عليهم[2] ونحو ذلك.

فهذا مَوعِدُه[3] النارُ؛ لأنَّ قَصْدَ التَّكبُّرِ على الخلقِ مُحَرَّمٌ في نفسه، فإذا استعْمَلَ فيهِ آلةَ الآخرةِ كان أقبحَ وأفحشَ مِن أن يَستعمِلَ فيه آلاتِ الدُّنيا من المالِ والسلطانِ[4].

وفي «السنن» عن النبي ﷺ: «**مَنْ طَلَبَ العلمَ لِيمُارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أو يُجارِيَ بِه العلماءَ، أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إليهِ أدْخَلَهُ اللهُ النَّارَ**».

خَرَّجَه الترمذيُّ من حديث كعبِ بنِ مالكٍ[5].

[وخرجه ابنُ ماجه[6] من حديث ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وحُذيفةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعنده: «**فَهُوَ فِي النَّارِ**»][7].

---

(١) في (أ): وذاق.

(٢) في (ب) و(ص): وليعلوا به عليهم.

(٣) في (أ): فهذا وعيده النار.

(٤) ولهذا قال بعض السلف: لأن أطلب الدنيا بمزمار أحبّ إليَّ من أن أطلبها بالدين!.

(٥) «سنن الترمذي» (٢٦٥٤) وقال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسحاق بن يحيى بن طلحة ليس بذاك القوي عندهم، تُكُلِّمَ فيه من قبل حفظه.

(٦) «سنن ابن ماجه» (٢٥٣)، من حديث ابن عمر، و(٢٥٩) من حديث حذيفة. وحسنه الشيخ الألباني.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

وخَـرَّجَ ابـنُ ماجـه[١] وابـنُ حبـانَ في «صحيحه»[٢] مـن حديثِ جابرٍ عـن النبي ﷺ قال:

«لَا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَلَا لِتُمَارُوا بِهِ السُّـفَهَاءَ، وَلَا تَخَيَّرُوا[٣] بِهِ المجَالِسَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالنَّارَ النَّارَ».

وخرَّجهُ ابنُ عديٍّ[٤] من حديثِ أبي هريرةَ عن النبي ﷺ بنحوِهِ، وزادَ فيهِ: **«ولكنْ تَعَلَّمُوهُ لِوَجْهِ الله والدَّارِ الآخرةِ»**[٥].

وعـن ابـن مسـعودٍ، قـال: **«لا تَعَلَّمُـوا الْعِلْمَ لِثَـلَاثٍ: لِتُمَـارُوا بِـهِ السُّـفَهَاء، أَوْ لِتُجَادِلُـوا[٦] بِـهِ العُلَمَـاءَ[٧]، أَوْ لتَصْرِفُـوا بِـهِ وُجُـوهَ النَّاسِ إِلَيْكُـمْ، وَابْتَغُـوا بِقَوْلِكُمْ وَفِعْلِكُمْ مَا عِنْدَ الله، فَإِنَّهُ يَبْقَى ويَفْنَى مَا سِوَاهُ»**[٨].

وقد ثبتَ في «صحيحِ مسـلمٍ»[٩] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إِنَّ أَوَّلَ خَلْـقٍ الله تُسَـعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يـوْمَ القِيَامةِ ثلاثةٌ..»** مِنْهُمُ العَـالِمُ الَّذي قَرَأَ القُرْآنَ لِيُقَـالَ: قَـارِئٌ، وتَعَلَّـمَ الْعِلْـمَ لِيُقال عَـالِمٌ، وأَنَّه يُقَالُ لَهُ: قَـدْ قِيلَ ذلكَ، وأُمِرَ بِهِ فسُـحِبَ عـلى وجهِـهِ حتَّى أُلقِـيَ في النَّارِ.. وذكر مثل ذلـك في الـمُتَصدِّقِ ليقـال: إنه جوادٌ، وفي الـمُجَاهِدِ ليُقال: إنَّه شُجَاعٌ.

---

(١) «سنن ابن ماجه» (٢٥٤)، وصححه الألباني لغيره.

(٢) «صحيح ابن حبان» (٧٧).

(٣) في (ب): لتخيروا.

(٤) لم أجده في الكامل لابن عدي.

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٨٠٥).

(٦) في (أ): لتجاروا.

(٧) في (ص): الفقهاء.

(٨) أخرجه الدارمي في «السنن» (٢٥٥)، وفي «المسند» له أيضًا (٢٦١).

(٩) «صحيح مسلم» (١٩٠٥).

وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: يَا حملةَ [القرآن][١] والعِلْمِ! اعْمَلُوا بهِ، فإنَّما العَالِمُ مَن عَمِلَ بِمَا عَلِمَ فَوافقَ عَمَلُهُ عِلْمَهُ، وسيكونُ أقوامٌ يحملونَ العِلْمَ لا يُجاوِزُ[٢] تَرَاقِيَهم، يُخالِفُ عِلمُهم عمَلَهُم، وتخالفُ سَرِيرتُهُم علانِيتَهُم، يجلسونَ حِلقًا حِلقًا فيباهي بعضُهم بعضًا، حتى إنَّ الرجلَ ليغضبُ على جَليسِهِ أن يَجْلسَ[٣] إلى غيرِهِ ويَدَعُهُ، أولئك لا تَصعدُ أعمالُهم في مَجالسِهِم تلك إلى اللهِ تَعَالَىٰ[٤].

وقال الحسنُ: لا يكونُ حَظُّ أحدِكُم مِنْ [العلم][٥] أن يَقولَ لهُ الناسُ: عالمٌ.

وفي بعضِ الآثارِ: أنَّ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: كيف يكونُ مِنْ أهلِ العِلْمِ مَن يطلبُ العِلْمَ ليُحَدِّثَ بهِ، ولا يَطلبُهُ لِيَعْمَلَ بهِ!.

وقال بعضُ السلفِ: بَلَغَنَا أنَّ الذي يَطلبُ الأحاديثَ ليُحَدِّثَ بِهَا لا يَجِدُ ريح الجنةِ، يعني [من][٦] ليسَ لَهُ غرضٌ في طلبِهَا إلا ليُحدِّثَ بها دُونَ العَملِ بها.

❁❁❁

(١) زيادة من (ب)، وفي تاريخ ابن عساكر: «يا حملة القرآن» وفي الدارمي: «يا حملة العلم».
(٢) في (أ): لا يجارونه.
(٣) في (ب) و(ص): إذا جلس.
(٤) أخرجه الدارمي في سننه (٣٩٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٢/ ٥١٠).
(٥) ساقطة من (ص)، و(جـ).
(٦) ساقطة من (أ)، و(ص).

ذمُّ الفُتيا[١]

ومن هذا البابِ[٢]؛ كَراهةُ السَّلفِ الصَّالحِ الجُرْأَةَ على الفُتْيَا، والحِرصَ عليها، والمُسارعةَ إليها[٣]، والإكثارَ مِنْهَا.

وروى ابنُ لهيعةَ عن عُبيدِ اللهِ[٤] بنِ أبي جعفر مرسلاً، عن النبي ﷺ قال: «**أجْرَؤُكُمْ على الفُتْيا أجْرَؤُكُمْ على النَّارِ**»[٥].

وقال علقمة: كانوا يقولون: أجْرَؤُكُم على الفُتيا أقلُّكُم عِلمًا.

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى[٦] قال: أدركتُ مائة وعشرينَ من الأنصارِ مِنْ أصحابِ رسولِ الله ﷺ يُسأَلُ أحدُهُم عن المسألةِ، ما مِنْهُمْ من أحدٍ إلا وَدَّ أن أخَاهُ كَفَاه[٧].

وفي روايةٍ: فيرُدُّها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا حتى ترجعَ إلى الأوَّلِ.

وعَنْ ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: إنَّ الذي يُفتي الناسَ في كُلِّ ما يَسْتَفْتُونَهُ لمجنونٌ[٨].

وسُئِلَ عمرُ بنُ عبد العزيز عن مسألةٍ فقال: ما أنا على الفُتيا بِجَرِيءٍ.

---

(١) هذا العنوان موجود في (أ) و(د)، والمراد ما ذكره المؤلف وهو الجرأة على الفتيا والحرص عليها، والمسارعة إليها.

(٢) في (ص) و(ب) : ومن هذا القبيل.

(٣) في (ب) و(ص): والمنازعة إليها.

(٤) في جميع النسخ: عبد الله، والصواب ما أثبت.

(٥) أخرجه الدارمي في سننه (١٥٩) من طريق ابن المبارك عن سعيد بن أبي أيوب عن عبيد الله مرسلا.

(٦) في الأصول: عن البراء، والتصويب من (د).

(٧) أخرجه الدارمي في سننه (١٣٥)، وفي مسنده (١٣٧).

(٨) أخرجه الدارمي في سننه (١٧١)، وابن الجعد في مسنده (٣٢٠).

وكتبَ إلى بعض عُمَّالِهِ: إنِّي والله ما أنا بحَريصٍ على الفُتْيَا ما وَجدتُ مِنْهَا بُدًّا.

[وقال ابنُ عُيينة][(١)]: ليسَ هذَا الأمرُ لِمن وَدَّ أنَّ الناسَ احتاجُوا إليهِ، إنما هذا الأمرُ لمن وَدَّ أنَّهُ وَجَدَ مَن يَكْفِيهِ.

وعنهُ أنه قال: أعلمُ الناس بالفَتْوى أسكَتُهُم، وأجهلُهُم بها أنطقُهُم[(٢)].

وقال سُفيان الثوريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أدركنا الفُقَهاء وهُمْ يكرهونَ أن يُجيبوا في المسائلِ والفُتيا حتى لا يَجِدوا بُدًّا من أن يُفْتُوا، وإذا أُعفُوا مِنْهَا كانَ أحبَّ إليهم[(٣)].

وقال الإمامُ أحمدُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: مَنْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلْفُتْيَا فَقَدْ عَرَّضَهَا لِأَمْرٍ عَظِيمٍ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ تُلجيءُ الضَّرُورَةُ.

قيل له: فَأَيُّمَا أَفْضَلُ؟ الْكَلَامُ أَو الْسُّكوتُ؟

قَالَ: الْإِمْسَاكُ أَحَبُّ إِلَيَّ.

قِيلَ لَهُ: فَإِذَا كَانَتِ الضَّرُورَةُ؟

فَجَعَلَ يَقُولُ: الضَّرُورَةُ الضَّرُورَةُ![(٤)] وَقَالَ: الْإِمْسَاكُ أَسْلَمُ لَهُ.

وليعلم المُفتي أنَّهُ يُوقِّعُ عن الله أمرَهُ ونَهيَهُ، وأنَّهُ [موقوف][(٥)] ومسؤول عن ذلك.

---

(١) ساقطة من (ب) و(جـ) و(ص) ومثبتة في (أ) و(د)، ولم ينتبه بعض من حقق الكتاب إلى هذا السقط، مع أنه حقق الرسالة على أربع نسخ خطية، وساق الكلام على أنه من كلام عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ والصواب أنه من كلام ابن عيينة.

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١٠٧٤) عن ابن عيينة.

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٦٤١).

(٤) في (أ) و(د): الضرورة بدون تكرار، والأثر أخرجه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٦٤٢).

(٥) ساقطة من (أ).

قال الربيعُ بن خُثَيم: أيها الـمُفتونَ! انظرُوا كيف تُفتون[١].

وقـال عمـرُو بنُ دينارٍ لقتادةَ لـمَّا جَلَس للفُتيا: [تَـدْري في أيِّ علمٍ وقَّعتَ؟ وقَّعْتَ بينَ الله وبينَ عبَادِهِ][٢] وقُلتَ: هذا يَصْلحُ وهذا لا يصلحُ؟[٣].

وعَنِ ابنِ الـمُنكدر قالَ: إنَّ العالِمَ داخلٌ[٤] بينَ اللهِ وبينَ خَلْقِه، فلينظُرْ كيفَ يدخلُ عليهم[٥].

وكان ابنُ سيرينَ إذا سُئِلَ عنِ الشيءِ مِن الحلالِ والحَرامِ تَغيَّرَ لَونُهُ وتبدَّلَ حتىَّ كأنَّه ليسَ بالذي كانَ[٦].

وكانَ النَّخعيُّ يُسألُ فتظهرُ عليهِ الكراهةُ ويقولُ: ما وَجدتَ أحدًا تسألُ غيري؟

وقـال: قـد تكلَّمتُ ولو وجدتُ بُدًّا مـا تكلمتُ، وإنَّ زمانًا أكونُ فيـهِ فقيهَ الكُوفةِ لزمانُ سُوءٍ[٧].

[ورُوِيَ عن ابن عمرَ قالَ: إنَّكُم لتستفتوننا استفتاءَ قومٍ، كأنَّا لا نُسألُ عمَّا نُفتيكم به][٨].

وعن محمدِ بنِ واسعٍ قالَ: أوَّلُ مَنْ يُدْعى إلى الحسابِ الفقهاءُ.

---

(١) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (٥٦٣).

(٢) ساقط من (ب) و(ص) و(جـ) وأثبتناه من (أ) و(د).

(٣) أخرجه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١٠٨٥)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢/ ٢٨٣).

(٤) داخل: ساقطة من (ب) و(ص).

(٥) أخرجه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١٠٨٣).

(٦) أخرجه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١٠٨١).

(٧) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٢٣).

(٨) ساقط من (أ)، والأثر أخرجه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١٠٨٦) عن ابن عمر، وهو الموافق لما في (د). وفي النسخ الأخرى: عن عمر وهو خطأ.

وعن مَالكٍ أنه كان إذا سُئِلَ عن المسألةِ كأَنَّهُ واقفٌ بينَ الجنةِ والنَّارِ[١].

وقال بعضُ العُلماءِ لبعضِ الـمُفتينَ: إذا سُـئِلتَ عن مسـألةٍ فلا يَكُن هَمُّك تخليصَ السَّائلِ ولكِن تخليصَ نفسِك أوَّلا[٢].

وقال آخر: إذا سُئِلْتَ عن مسألةٍ[٣] فتَفَكَّرْ، فإن وَجدتَ لنَفْسِكَ مخرجًا فتكلَّم وإلا فاسْكُتْ.

وكلامُ السلفِ في هذا المعنى كثيرٌ جدًّا ويَطولُ ذِكْرُهُ واسْتقْصَاؤهُ.

ومن هذا الباب أيضًا:

كراهةُ الدُّخولِ على الـمُلوكِ والدُّنو منهُمْ.

وهُوَ الباب[٤] الذي يَدخُلُ منهُ عُلماءُ الدُّنيا إلى نيْلِ الـشرفِ والرِّئاساتِ فيها.

وخـرَّج الإمامُ أحمـدُ[٥] وأبـو داودَ[٦] والترمذيُّ[٧] والنَّسـائيُّ[٨] مـن حديثِ ابنِ عبـاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عـن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَن سَـكَن البادية جَفا، ومـن اتَّبَع الصيدَ غَفَل**[٩]، **ومن أتَى أَبْوَابَ السلطانَ**[١٠] **افْتُتِنَ**».

---

(١) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (١٠٨٢).

(٢) هذا الأثر ساقط من (جـ).

(٣) في (أ): عن شيء.

(٤) في (أ): وهو العلم.

(٥) «المسند» (٣٣٦٢).

(٦) «سنن أبي داود» (٢٨٦١).

(٧) «سنن الترمذي» (٢٢٥٦) وقال: حسن صحيح غريب.

(٨) «سنن النسائي» (٤٣٠٩). والحديث صححه الألباني.

(٩) أي من شغل الصيد قلبه ألهاه وصارت فيه غفلة، وكذلك كل ما يشغل عن الله في هذا العصر كالهواتف الذكية التي شغلت أكثر الخلق.

(١٠) في (ب): السلاطين.

وخرج أحمدُ(١) وأبو داودَ(٢) نحوَهُ من حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي حديثِهِ: «**وما ازْدادَ أحدٌ مِنَ السُّلْطَانِ دنوًّا إلا ازْدادَ منَ الله بُعْدًا**».

وخرَّج ابنُ ماجه(٣) من حديثِ ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

«**إِنَّ أُنَاسًا مِنْ أُمَّتِي سَيَتَفَقَّهُونَ فِي الدِّينِ، وَيَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ، وَيَقُولُونَ: نَأْتِي الْأُمَرَاءَ فَنُصِيبُ مِنْ دُنْيَاهُمْ، وَنَعْتَزِلُهُمْ بِدِينِنَا. وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ، كَمَا لَا يُجْتَنَى مِنَ الْقَتَادِ إِلَّا الشَّوْكُ، كَذَلِكَ لَا يُجْتَنَى مِنْ قُرْبِهِمْ [إلا](٤)**». [يعني](٥): إلا الخَطَايَا.

وخرَّجهُ الطبرانيُّ(٦) ولفظُهُ:

«**إِنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي سَيَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَعَمَّقُونَ فِي الدِّينِ، يَأْتِيهِمُ الشَّيْطَانُ يَقُولُ: لَوْ أَتَيْتُمُ الْمُلُوكَ فَأَصَبْتُمْ مِنْ دُنْيَاهُمْ وَاعْتَزَلْتُمُوهُمْ بِدِينِكُمْ، أَلا وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ، كَمَا لَا يُجْتَنَى مِنَ الْقَتَادِ إِلَّا الشَّوْكَ، كَذَلِكَ لَا يُجْتَنَى مِنْ قُرْبِهِمْ إِلَّا الخَطَايَا**».

وخَرَّج الترمذيُّ(٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

«**تَعَوَّذُوا بِالله مِنْ جُبِّ الحَزَنِ**»، قَالُوا: وَمَا جُبُّ الحَزَنِ؟ قَالَ: «**وَادٍ فِي جَهَنَّمَ تَتَعَوَّذُ مِنْهُ جَهَنَّمُ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ**». قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، مَنْ يَدْخُلُهُ؟ قَالَ: «**الْقُرَّاءُ الْمرَاؤُونَ بِأَعْمَالِهِمْ**».

---

(١) «المسند» (٨٨٣٦).

(٢) «سنن أبي داود» (٢٨٦٢) والحديث ضعفه الألباني.

(٣) «سنن ابن ماجه» (٢٥٥) وفي الزوائد: إسناده ضعيف.

(٤) زيادة من السنن.

(٥) ساقطة من (أ) و(ب).

(٦) «الأوسط» (٨٢٣٦) وضعفه الألباني.

(٧) «سنن الترمذي» (٢٣٨٣) وقال: حديث غريب، وضعفه الألباني.

وخرَّج ابنُ ماجه[١] نحوه، وزاد فيه:

«**وإنَّ منْ أبْغَضِ القُرَّاءِ إلى الله الَّذينَ يَزُورونَ الأمَرَاءَ الجَورَةَ**[٢]».

ويُروى من حديثِ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نحوُهُ[٣].

ومِنْ أعظَمِ ما يُخشى على مَنْ يَدخُلُ على الـمُلوكِ الظلمةِ[٤] أن يُصدِّقَهم بِكذبِهم، ويُعينَهُـم على ظُلْمِهِم ولَوْ بالسُّكوتِ عـنِ الإنكارِ عليهم، فإنَّ مَنْ يُريـدُ بِدُخولِهِ عليهم الشَّرفَ والرِّياسـةَ وهُوَ حَرِيصٌ عليهما[٥] لا يُقدِمُ على الإنكارِ عليهم، بَل رُبَّما حسَّـنَ لهُم بعضَ أفْعالِهِم القبيحةِ تقربًا إليهم؛ ليَحْسُنَ مَوْقِعُهُ عِندَهُم، ويُساعِدُوه عَلَى غَرَضِهِ.

وقـد خرَّج الإمامُ أحمدُ[٦] والترمذيُّ[٧] والنَّسـائيُّ[٨] وابنُ حبانَ[٩] في «صحيحه» منْ حديثِ كعبِ بن عُجرةَ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**سَـيكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَصَدَّقَهُمْ بِكذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي، وَلَسْـتُ مِنْهُ، وَلَيْسَ بِوَارِدٍ عَلَـيَّ الحَوْضَ، وَمَنْ لَمْ يَدْخُل عَلَيْهِم ولم يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، ولَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَهُوَ وَارِدٌ عَلَيَّ الحَوْضَ**».

---

(١) «سنن ابن ماجه» (٢٥٦) وضعفه الألباني.

(٢) **الجورة**: الظلمة.

(٣) أخرجـه العقيـلي في «الضعفاء» (٧٩٤) من حديث أبي بكـر الداهري، وقال العقيلي: يحدث بأحاديث لا أصـل لهـا ويحيل على الثقـات، وذكر من ذلـك هذا الحديث. وقـال الألباني: ضعيف جـدًّا. كما في «السلسلة الضعيفة» (٥٠٢٤).

(٤) كلمة: «الظلمة» ساقطة من (أ).

(٥) في (ب) و(جـ) و (ص): عليهم، وأثبتا ما في (أ) و(د).

(٦) «المسند» (١٨١٢٦).

(٧) «سنن الترمذي» (٢٢٥٩) وقال: حديث غريب.

(٨) «سنن النسائي» (٤٢٠٧).

(٩) «صحيح ابن حبان» (٢٧٩، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤) والحديث صححه الألباني وشعيب الأرناؤوط.

[وخـرَّج الإمـامُ أحمـدُ معنى هـذا الحديث مـن حديث حُذيفـة[١] وابـنِ عُمرَ[٢]، وخبَّابِ بنِ الأرَتِّ[٣] وأبي سعيدِ الخُدْريِّ[٤] والنُّعمانِ بنِ بشير رَضِيَ اللهُ عَنهُم[٥]][٦].

وقد كان كثيرٌ من السلفِ ينهَوْنَ عن الدخولِ على الـمُلوكِ لِمَن أرادَ أمرَهُمْ بالمعروفِ ونَهْيَهُم عن الـمُنْكَرِ أيضًا.

ومِمَّـن نهـى عن ذلـك عُمرُ بنُ عبـدِ العزيزِ، وابنُ المبـاركِ، والثَّـوريُّ، وغيرُهُم من الأئمة رَضِيَ اللهُ عَنهُم.

وقـال ابنُ المباركِ: لَيسَ الآمـرُ الناهِي عندَنا مَن دخَلَ عليْهِـم[٧] فأمرَهُم ونَهاهُم، إنَّما الآمِرُ النَّاهِي مَنِ اعتزلَـهُم.

وسَـببُ هذا ما يُخشَـى من فِتنةِ الدخولِ علَيهِم؛ فإنَّ النَّفسَ قد تُخيِّلُ للإنسان - إذا كانَ بعيدًا عَنهُم - أنَّهُ يَأمرُهُم وينهاهُم ويُغلِّظُ عليْهِم، فإذا شـاهَدَهُم فربما مَالتِ النَّفسُ إليهِـم؛ لأن محبةَ الشرفِ كامنةٌ في النفس فَحَبَّبَتْ له بذلـك مداهنتَهم وملاطفتَهم، ورُبما مَالَ إلَيْهِم وأحبَّهُمْ، ولاسيما إن لاطفُوه وأكرمُوهُ وقبل ذلك منهم.

وقد جرى ذلك لابن طاوسٍ [مع بعض الأُمَرَاءِ بحضـرةِ أبيهِ طاوسٍ][٨] فَوَبَّخَهُ طاوسٌ عَلى فِعْلِهِ ذلك.

---

(١) «المسند» (٢٣٢٦٠).
(٢) «المسند» (٥٧٠٢).
(٣) «المسند» (٢٧٢١٩).
(٤) «المسند» (١١١٩٢، ١١٢٢٤، ١١٨٧٣).
(٥) «المسند» (١٨٣٥٣).
(٦) ساقط من (ب).
(٧) في (أ): من دخل على الملوك عليهم. وهو تكرار من الناسخ.
(٨) ساقط من (أ).

وكتب سُفيانُ الثوريُّ إلى عبَّادِ بن عَبَّادٍ، [وكان في كتابه][(١)]:

«إيَّاك والأُمَراءَ أن تَدْنُوَ مِنْهُم أو تُخالِطَهم في شيءٍ من الأشياءِ، وإيَّاكَ أن تُخدَعَ ويقال لكَ: لِتشفعَ وتَدرأ[(٢)] عَن المظلومِ أو تردَّ مظلمةً، فإن ذلك خديعةُ إبليسَ، وإنَّما اتَّخَذَها فُجَّار القُرَّاءِ سُلَّمًا، وما كُفِيتَ عن المسألةِ والفُتيا فاغْتَنِم ذلك ولا تُنافِسْهم فيه.

وإيَّاكَ أن تكون كَمَن يُحبُّ أن يُعملَ بِقَولِهِ أو يُنشرَ قَولُهُ أو يُسمَعَ قولُهُ، [فإذا تُرِكَ ذلك مِنْهُ عُرِفَ فيه][(٣)]، وإيَّاكَ وحُبَّ الرئاسةِ، فإنَّ الرجلَ يكونُ حُبُّ الرئاسةِ أحبَّ إليه من الذهب والفضَّةِ، وهُو بَابٌ غَامِضٌ لا يُبصِرُهُ إلا البصيرُ من العُلماءِ السَّماسرةِ، فَتَفَقَّدْ نفسَك[(٤)] واعْملْ بَنيَّةٍ، واعْلَمْ أنَّه قد دَنَا مِنَ النَّاسِ أمرٌ يشتهي الرجلُ أن يَموتَ، والسلامُ».

❁ ❁ ❁

(١) ساقط من (أ) و(د).

(٢) تدرأ: تدفع وتصدّ.

(٣) ساقط من (أ) و(د).

(٤) في (ب) و(ص): «فتفقد بقلبِ»، وفي (أ): «فتثقل نفسك»، وأثبتنا ما في (د) وقد رواه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٧٦) بهذا اللفظ.

[كراهية السلف للشهرة]

ومن هذا البابِ - أيضًا - كراهةُ أن يُشهِرَ الإنسانُ نفسَهُ للناس بالعِلمِ والزهدِ والدِّين، أو بإظهارِ الأعمال والأقوال والكراماتِ حتى يزار[1]، وتُلْتَمَسَ بَرَكَتُهُ ودُعاؤُه وتقبيلُ يدِهِ، وهُو مُحِبٌّ لذلك[2]، ويُقيمُ عليهِ أويَفرحُ بِهِ ويَسعى في أسبابِهِ.

ومِن هُنا؛ كان السلفُ الصالحُ يكرهونَ الشُّهرةَ غايةَ الكراهةِ، مِنهُم: أيوبُ والنخعيُّ وسفيانُ، وأحمدُ وغيرهم من العلماءِ الربَّانيينَ، وكذلك الفُضيلُ وداودُ الطّائيُّ وغيرُهما من الزُّهَّادِ والعَارفينَ، وكانوا يَذُمُّونَ أنفسَهُم غايةَ الذمِّ ويَسترون أعمالَهُم غايةَ السِّترِ.

ودخلَ رجلٌ على داود الطَّائي فسأَلَهُ: ما جاءَ به؟ فقال: جئتُ أزُورُك. فقال: أمَّا أنت فقدْ أصبتَ خيرًا حيثُ زُرتَ في الله، ولكِن أنا أنظرُ ماذا لقيتُ غدًا إذا قيلَ لي: منْ أنتَ حَتَّى تُزارَ؟

مِنَ الزُّهَّادِ أنتَ؟ لا واللهِ.

من العُبَّادِ أنتَ؟ لا واللهِ.

مِنَ الصَّالحِينَ أنت؟ لا والله، وعدَّدَ خصالَ الخيرِ على هذا الوجه، فجعلَ يُوبِّخُ نفْسَهُ ويقولُ: يا داودُ، كنتَ في الشَّبيبةِ فاسقًا، فلمَّا شِبتَ صِرتَ مُرَائيًا، والمُرَائي شرٌّ من الفاسقِ.

وكان محمدُ بنُ واسعٍ يقولُ: لو أنَّ للذنوبِ رائحةً ما استطاعَ أحدٌ أن يُجالسَنِي.

---

(١) كذا في (أ)، وفي (ب): بزيارة.

(٢) في (أ): محِب إلى ذلك.

وكان إبراهيمُ النَّخعيُّ إذا دخلَ عليه أحدٌ[(١)] وهُو يقرأُ في المصحفِ غطَّاهُ.

وكان أويسٌ وغيرُهُ من الزُّهَّادِ إذا عُرِفوا في مَكَانٍ ارتحلُوا عنه.

وكان كثيرٌ من السلفِ يَكرهُ أن يُطلبَ مِنْهُ الدُّعاءُ، ويقولُ لِـمَن يسألُهُ الدُّعاءَ: أَنَبيٌّ أنا[(٢)]؟

ومِمَّـنْ رُوي عنـه ذلـك عمرُ بـن الخطَّـابِ، وحُذيفةُ بـنُ اليـمانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكذلك مَالِكُ بنُ دينارٍ.

وكان النخعيُّ يكرهُ أن يُسألَ الدُّعاءَ.

وكتبَ رجلٌ إلى أحمدَ رَحِمَهُ اللَّهُ يسألُهُ الدعاءَ فقال أحمدُ:

إذا دعونا نحنُ لهذا، فمن يدعُو لنا؟.

وَوُصفَ بعـضُ الصالحينَ واجتهادُهُ في العبادةِ لبعضِ الـمُلـوكِ فَعزَمَ على زيارتِهِ، فبَلَغَـهُ ذلـك، فجلسَ على قَارِعَةِ الطريقِ يأكُلُ، فَوافَاهُ الملِكُ وهُو على تِلكَ الحالةِ، فسـلَّمَ عليه، فَرَدَّ عليه السـلامَ، وجَعلَ يأكلُ أكلاً كثيرًا ولا يَلتفِتُ إلى الـمَلِكِ، فقال الـمَلِكُ: ما في هذا خيرٌ، ورَجع. فقال الرجلُ: الحمدُ لله الذي رَدَّ هذا عَنِّي وهو لائمٌ.

[وهذا باب واسع جدًّا][(٣)].

❁❁❁

(١) في (أ): إذا دُخل عليه.

(٢) غير واضحة في (ب) و(ص).

(٣) ساقط من (أ).

[من دقائق الرياء]

وههنا نُكتةٌ دقيقةٌ، وهي: أن الإنسانَ قد يَذُمُّ نفسَهُ بينَ الناسِ، يُريدُ بذلك أن يَرَى الناسُ أنه مُتواضعٌ عِندَ نفسِهِ، فيرتفعُ بذلكَ عندَهُم ويَمدحُونَهُ بِهِ.

وهذا من دقائقِ أبوابِ الرِّياءِ، وقد نبَّه عليهِ السلفُ [الصالح][1].

قال مُطرِّفُ بنُ عبدِ الله بن الشِّخِّيرِ: كفى بالنفسِ إطراءً أن تَذُمَّهَا على الملأِ، كأنك تُريدُ بِذَمِّها زيْنَهَا، وذلك عند الله سَفَهٌ[2].

❁ ❁ ❁

(١) ساقط من (أ).

(٢) في (أ): سفهًا وهو خطأ.

فَصْلٌ

[التحذير من اتباع الهوى]

وقد تبيَّنَ بما ذكرنا أن حُبَّ المالِ والرياسةِ والحرصَ عليهما يُفسدُ دِينَ الـمَرءِ، حتى لا يبقى منه إلا ما شاءَ اللهُ، كما أخبر بذلك النبي ﷺ(١).

وأصلُ مَحبةِ المالِ والشرفِ من حُبِّ الدنيا، وأصلُ حُبِّ الدُّنيا اتِّباعُ الهوى.

قـال وهبُ بـنُ مُنِّبه: مِنَ اتِّباعِ الهَوَى: الرغبةُ في الدنيا، ومن الرغبةِ فيها: حُبُّ المالِ والشرفِ، [ومن حُبِّ المالِ](٢) والشرفِ: استحلالُ المحارِمِ.

وهذا كلامٌ حسـنٌ، فإنَّـه إنما يحملُ(٣) على حبِّ(٤) المالِ والـشرفِ الرغبةُ في الدُّنيا، [وإنـما تحصُـلُ الرغبةُ في الدنيـا](٥) من اتِّباع الهَـوَى؛ لأنَّ الهَـوى داعٍ إلى الرغبةِ في الدنيا وحُبِّ المالِ والشرفِ فيها، والتقوى تمنعُ من اتِّباعِ الهَوَى وتردَعُ عَن حُبِّ الدنيا.

قـال الله تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧-٤١].

وقد وصف الله تَعَالَىٰ أهلَ النَّارِ بالمالِ والسلطانِ في مواضعَ مِنْ كتابِهِ، كقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٩].

---

(١) في (أ): كما أخبر عليه السلام.

(٢) ساقط من (أ).

(٣) في (ب) و(جـ) و(ص): عمل. والمثبت من (أ).

(٤) في (ب) و(ص): صاحب. والمثبت من (أ).

(٥) ساقط من (أ).

[العلو المذموم والعلو المحمود]

واعلمْ؛ أنَّ النَّفسَ تُحبُّ الرِّفعَةَ والعُلوَّ على أبناءِ جِنسِهَا، ومِنْ هُنا نشأَ الكِبرُ والحسدُ، ولكِنَّ العاقلَ يُنافِسُ في العُلوِّ الدائمِ الباقي الذي فيه رضوانُ اللهِ وقُربُهُ وجِوارُهُ، ويَرغَبُ عَنْ العُلوِّ الفَاني الزَّائل الذي يَعقُبُهُ غَضبُ اللهِ وسخطُهُ، وانحطاطُ العبدِ وسُفُولُهُ[1]، وبُعْدُهُ عن الله وطردُهُ عنه، فهذا العُلوُّ الفاني[2] هو الذي يُذَمُّ، وهُو العُتُوُّ والتكبرُ في الأرضِ بغيرِ الحقِّ.

وأمَّا العُلوُّ الأوَّلُ والحِرْصُ عليه فهوَ مَحْمودٌ.

قال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

وقال الحسنُ: إذا رَأيْتَ رَجُلاً يُنَافِسُكَ في الدنيا فنافسْهُ في الآخرةِ.

وقال وُهَيْبُ بنُ الوَرْدِ: إن استطعتَ ألا يسبقَك إلى الله أحدٌ فافْعَلْ.

وقال محُمدُ بنُ يُوسفَ الأصبهانيُّ العابدُ: لو أنَّ رجلاً سَمِعَ بِرَجُلٍ، [أو عرفَ رجلًا][3] أطوعَ لله منهُ، [كانَ ينبغي له أن يَحْزُنَهُ ذلك[4].

وقال غيرُهُ: لو أنَّ رجلاً سمع برجلٍ أو عرفَ رجلاً أطوعَ لله منه][5] فانصدَعَ قلبُهُ لمْ يَكنْ ذَلِكَ بعجبٍ.

وقال رجلٌ لمالكِ بنِ دينارٍ: رأيتُ في المنامِ مناديًا يُنادي: أيها النـاسُ، الرحيلَ، الرحيلَ، فما رأيتَ أحدًا ارتحل إلا محمدُ بنُ واسعٍ. فصاحَ مالكٌ وغُشِيَ عليه.

---

(١) في (أ): وسفولته.

(٢) في (أ) و(د): الثاني.

(٣) ساقط من (أ).

(٤) لا يحزن حَسَدًا لغيره على طاعته، وإنما يحزن لتقصيره لنفسه.

(٥) زيادة من (أ).

فَفِـي درجاتِ الآخرةِ الباقية يُـشرعُ التنافسُ وطلبُ العُلوِّ في منازِلِها والحرصُ على ذلك بالسعي في أسبابِهِ، وألا يقنع الإنسانُ منها بالدُّونِ مع قُدرتِهِ على العُلوِّ.

وأمـا العُلوُّ الفَاني المنقطعُ الذي يعقبُ صاحبَهُ غدًا[1] حَسْـرةً وندامةً وذِلَّةً وهَوَانًا وصَغَارًا؛ فهو الذي يُشرعُ الزهدُ فيه والإعراضُ عنهُ.

❁❁❁

(١) غدًا: ساقطة من (أ).

[أسباب الزهد في الشرف والعلوّ في الدنيا]

وللزهدِ فيهِ أسبابٌ عديدةٌ:

منها: نظرُ العبدِ إلى سُوءِ عاقبةِ الشرفِ في الدُّنيا بالولايةِ والإمارةِ لِمَن لا يُؤدِّي(١) حقَّها في الآخرةِ.

[ومنها](٢): نظرُ(٣) العبدِ إلى عُقوبةِ الظَّالمينَ والمتكبرين(٤) ومَن ينازِعُ اللهَ رِدَاءَ الكبرياءِ.

وفي «السُّننِ»(٥) عن النبي ﷺ قال: «**يُحْشَرُ الـمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، يُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الخَبَالِ**».

وخرَّجه الترمذي(٦) وغيرهُ من حديثِ عمرِو بنِ شُعيبٍ، عن أبيهِ، عن جَدِّه، عن النبي ﷺ.

وفي روايةٍ لغيرِهِ [مِنْ وَجهٍ آخر في هذا الحديث](٧):

«**يَطؤُهُمُ النَّاسُ بأقدامِهم**»(٨).

---

(١) في (أ): يؤتي.

(٢) زيادة من (أ).

(٣) في (ب) و(ص): فنظر.

(٤) في (ب) و(ص): والمكذبين.

(٥) لم أجده إلا في «سنن الترمذي» من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

(٦) «سنن الترمذي» (٢٤٩٢)، وقال: هذا حديث صحيح وحسنه الألباني، وأخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٨٢٧)، وأحمد في «المسند» (٦٦٧٧).

(٧) زيادة من (ب) و(ص).

(٨) رواه البزار كما في «كشف الأستار» (٣/ ٣٩١) من حديث جابر عن النبي ﷺ، وفيه القاسم

وفي روايةٍ أُخْرى من وجْهٍ آخَرَ في هذا الحديثِ:

«**يَطؤُهُم الجنُّ والإنْسُ والدَّوَابُّ بأرجُلِها حتَّى يَقْضِيَ اللهُ بينَ عبادِهِ**»(١).

واستأذنَ رجلٌ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في القَصصِ على الناسِ فقال له: إني أخافُ أن تَقُصَّ عليهِم فترتفعَ عليهم في نَفْسِكَ حتَّى يضَعَك اللهُ تحْتَ أرْجُلِهِمْ يَوْمَ القيَامَةِ.

ومنها: نظرُ العبدِ إلى ثوابِ المُتواضعينَ للهِ في الدنيا بالرِّفعةِ في الآخرةِ، فإنَّ مَنْ تَوَاضعَ لله رَفَعَهُ(٢).

❁❁❁

ابن عبد الله العمري قال البزار: ليس بالقوي. وقال الألباني: موضوع كما في «السلسلة الضعيفة» (٥٠١٠)، و«ضعيف الترغيب والترهيب» (٢٠٩٠).

(١) أخرجه ابن عديّ في «الكامل» (٣/ ١٢٠) ومداره على الخصيب بن جَحْدر متهم بالكذب، وفيه أيضًا: الحسن بن دينار أجمعوا على ضعفه.

(٢) وقد ورد بذلك الحديث الصحيح الذي رواه مسلم (٢٥٨٨) عن أبي هريرة، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما نقصت صدقة من مالٍ، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله**».

[هيبة العلماء الصادقين في قلوب الناس]

ومنها: - وليس هو في قُدْرَةِ العَبدِ، ولكِنَّهُ من فَضلِ الله ورَحْمَتِهِ - : ما يُعوِّضُ الله عبادَهُ العَارفينَ به الزَّاهدينَ فيما يَفْنَى مِن المالِ والشرفِ بما يُعَجِّلُهُ الله لَهُمْ في الدنيا من شَرفِ التَّقوى وَهَيْبَةِ الخَلْقِ لهُم في الظَّاهرِ ومِنْ حَلاوةِ المعرفةِ والإيمانِ والطَّاعةِ في البَاطن.

وهي الحياةُ الطَّيبةُ التي وَعَدَهَا الله لمن عَمِلَ صالحًا من ذَكَرٍ أو أُنْثَى وهُو مُؤمنٌ، وهذه الحياةُ الطيبةُ لم يَذُقْها الملوكُ في الدُّنيا ولا أَهْلُ الرِّئاساتِ والحِرْصِ على الشرفِ، كما قال إبراهيمُ بنُ أدْهَمَ: «لو يعلمُ الملوكُ وأبناءُ الملوكِ ما نحنُ فيهِ[1] لجَالدونا عليه بالسيوفِ».

ومن رزقَهُ الله ذلك اشتغلَ بِهِ على طلبِ الشَّرفِ الزَّائِلِ والرئاسة الفانية.

قال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].

وفي بعض الآثارِ: يقولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: «**أنا العَزِيزُ فَمَنْ أرَادَ العِزَّ فَلْيُطِعِ العَزِيزَ، ومَنْ[2] أرَادَ عِزَّ الدنيا والآخِرَةِ فَعَلَيْهِ بالتَّقْوى**»[3].

كان حجاج بن أرطأة يقولُ: قتلني حُبُّ الشرفِ، فقال له سَوَّارٌ: لَوِ اتقيتَ الله شَرُفتَ.

---

(١) في (أ) و(د): ما نحن عليه.

(٢) في (ب) و(ص): فمن.

(٣) ذكره الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٣٤٩٦) من رواية سعيد بن هبيرة المروزي. قال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الثقات كأنه كان يضعها أو توضع له فيجيب فيها. وقال أبو حاتم: ليس بالقوي، روى أحاديث أنكرها أهل العلم.

وفي هذا المعنى يقول القائل:

ألا إنَّما التَّقْوَى هِيَ العِزُّ والْكَرَمُ وَحُبُّكَ لِلدُّنيا هُوَ الذُّلُ والسَّقَمُ

ولَيْسَ علَى عَبْدٍ تَقِيٍّ نَقِيصَةٌ إذا حَقَّقَ التَّقْوى وَإنْ حَاكَ[1] أوْ حَجَمَ

وقال صالحٌ الناجيُّ: الطاعةُ إمْرَةٌ والمُطيعُ لله أميرٌ مُؤَمَّرٌ على الأُمَراءِ، ألا تَرى هيبتَهُ في صُدورِهِم؟ إن قالوا، وإن أَمَرَ أطاعُوا، ثم يقول[2]: يحقُّ لِمَن أحسنَ خِدمتَكَ وَمَنَنْتَ عليه بمَحَبَّتِكَ أن يذلَّ لَهُ الجبابرةُ حتَّى يَهَابُوهُ. لَهَيبتُه في صُدورِهِم من هيبتكَ في قَلْبِهِ، وكُلُّ الخيرِ من عندِكَ بأوليائِكَ.

وقال بعضُ السلفِ [الصالح][3]: مَنْ أسعدُ بالطاعةِ من مُطيعٍ، ألا وَكُلُّ الخَيرِ في الطاعةِ، ألا وإنَّ المُطيعَ لله ملكٌ في الدنيا والآخرةِ.

وقال ذو النُّونِ: مَنْ أَكْرَمُ وأعزُّ مِمَّن انقَطَعَ إلى مَن مَلَكَ الأشياءَ بيدِهِ؟.

دخل محمدُ بنُ سُليمانَ أميرُ البصرةِ على حمَّادِ بن سلمةَ وقعد بينَ يديْهِ يسألُهُ فقالَ لَهُ: يا أبا سلمةَ، ما لِي كُلَّمَا نظرتُ إليكَ ارتعدتُ فَرَقًا مِنْكَ؟ قال: إنَّ[4] العالمَ إذا أرادَ بِعِلْمِهِ وجهَ الله خَافَهُ كُلُّ شيءٍ، وإنْ أرادَ أن يَكْتَنِزَ[5] بِهِ الكنُوزَ خَاف مِنْ كُلِّ شيءٍ.

ومِنْ هذَا قولُ بعضِهم: على قدرِ هيبتِك لله يهابكَ[6] الخَلْقُ، وعلى قَدْرِ مَحبَّتِكَ لله يحبُّكَ الخَلْقُ، وعلى قَدْرِ اشْتِغَالِكَ بالله تشتغلُ الخَلْقُ بأشْغالِكَ[7].

---

(١) حاك: اشتغل بالحياكة وهي النسيج.
(٢) في (أ): قال صالح.
(٣) زيادة من (ب) و(ص).
(٤) في (ب) و(ص): لأن.
(٥) في (ب) و(ص): يكثر.
(٦) في (ب) و(ص): يخافك.
(٧) في (ص): باشتغالك. والصواب ما أثبت، والمعنى أن يجعل الله الخلق يتسابقون ويسرعون في خدمتك لأنك تفرغت لما خلقت له من العبودية.

وكـان عمرُ بنُ الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمًا يمشـي ووراءه قومٌ مـن كبارِ[١] المهاجرين، فالتفتَ فَرَآهُم فخرُّوا على رُكَبِهِم هَيبةً لَهُ، فبكى عمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال: اللَّهُمَّ إنك تعلمُ أني أخوفُ لك مِنْهُم فاغفِر[٢] لي.

وكانَ العُمَرِيُّ الزاهِدُ قد خرجَ إلى الكوفةِ إلى الرشيد ليَعِظَهُ وينهاهُ؛ فوقَعَ الرعبُ في عسكرِ الرشيدِ لما سمِعوا بنزولِهِ، حتى لو نزلَ بِهِم عَدُوٌّ مائةُ ألفِ نفسٍ لما زادُوا على ذلك.

وكـان الحسـنُ لا يسـتطيعُ أحدٌ أن يسـأله مـن هَيبتـه[٣]، وكان خـواصُّ أصحابِهِ يجتمعونَ ويطلبُ بعضُهم من بَعْضٍ أن يَسْألوهُ عن المسألة، فإذا حَضـروا مَجلسَهُ لم يَجْترئوا على سؤالِهِ، حتى رُبَّما مكثُوا على ذلك سنةً كاملةً هيبةً له[٤].

وكذلك كان مالكُ بنُ أنسٍ يُهابُ أن يُسألَ، حتى قال فيه القائل شعرًا:

يَـدَعُ الجـوابَ ولا يُـراجَـعُ هَيْبةً ... وَالـسَّـائِـلُـونَ نَـوَاكِـسُ الأَذْقَـانِ

نُـورُ الـوَقَـارِ وَعِـزُّ سُـلْطَـانِ التُّقَى ... فَـهُـوَ الـمَهِـيبُ ولَـيْس ذا سُلطَانِ

❁❁❁

---

(١) في (ب) و(ص): من أكابر.

(٢) فاغفر: ساقطة من (أ).

(٣) في (ب): هيبة له.

(٤) إذا منعت الهيبة من سؤال العالم ذهب العلم وتفشى الجهل، فالهيبة لا ينبغي أن تمنع من سؤال العلماء والتفقه في الدين، قال تعالى: ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

[طلب الآخرة يجلب شرف الدنيا وإن لم يرده صاحبه]

وكان بُدَيْلٌ العُقيليُّ يقول: من أرادَ بعلمه وجْهَ اللهِ تَعَالَىٰ أقبلَ الله عليه بِوَجهِهِ وأقبلَ بقلوبِ العبادِ عليهِ، ومن عَمِلَ لغيرِ اللهِ صَرف اللهُ وجهه عنهُ، وَصرفَ قلوبَ العبادِ عنهُ.

وقالَ مُحمدُ بن واسعٍ: إذا أقبلَ العبدُ بقلبِهِ على اللهِ أقبَل الله بِقلوبِ المؤمنينَ إليه.

وقالَ أَبُو يَزيدِ البَسْطَاميُّ: طَلَّقْتُ الدُّنيا ثلاثًا باتًّا لا رجعةَ لي فِيها، وصِرتُ إلى ربي وحدي وناديتُهُ بالاستعانة[١]: إلهي! أدعُوكَ دُعاءَ مَن لَم يبقَ لَهُ غَيرُكَ.

فَلما عَرفَ صدقَ الدُّعاءِ من قلبي واليأسَ[٢] مِن نَفسي، كَانَ أَوَّلُ مَا وَرَدَ عَلَيَّ مِن إجابةِ هذا الدُّعاءِ؛ [أن أنساني][٣] نفسِي بالكُليةِ[٤] ونَصبَ الخلائقَ بين يَديَّ مع إعراضي عنهم.

وكَانَ يَزارُ من البلدانِ، فَلما رأى ازدحامَ الناسِ عليهِ قال:

[ولَيتَني صِرتُ شيئًا ... مِنْ غَيرِ شيءٍ أَعُدُّ][٥]
أصبحتُ لِلْكُلِّ مَوْلىً ... لأنَّني لَكَ عَبدُ
وفي الفُؤادِ أُمُورٌ ... ما تُسْتَطَاعُ تُعَدُّ
لَكِنَّ كِتْمانَ حَالِي ... أَحَقُّ بِي وَأَسَدُّ

---

(١) في (أ) و(د): بالاستغاثة.

(٢) في (أ): والإياس.

(٣) ساقط من (أ).

(٤) أي أنساه شهواتِ نفسه، أما نسيانُ النفس الذي هو عقوبة كما قال تَعَالَىٰ: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩] فقطعًا لم يرد هذا المعنى.

(٥) ساقط من (أ).

كَتَبَ وهبُ بنُ مُنبِّهٍ إلى مَكحولٍ: أمَّا بعدُ؛ فإنَّكَ أصبتَ بظاهرِ عِلمِكَ عِندَ الناسِ شَرَفًا ومَنزلةً، فاطلُبْ بباطِنِ عِلْمِكَ عندَ اللهِ مَنزلةً وزُلْفَى، واعلمْ أنَّ إحْدى[1] الـمَنزلَتين تمنَعُ من الأخرى[2].

ومعنى هذا: أنَّ العلمَ الظاهرَ مِن تَعلُّمِ الشـرائعِ، والأحْكامِ والفَتاوى والقَصص والوعظ ونحو ذلك مما يَظهرُ للناسِ يَحصلُ بهِ لِصاحِبهِ عِندَهُم منزلةٌ وشرفٌ.

والعلـمُ الباطـنُ الـمُـودَعُ في القلـوبِ مـن معرفـةِ اللهِ وخشـيتِهِ ومحبتِـهِ، ومراقبتِهِ والأُنـسِ بِهِ والشـوقِ إلى لقائِهِ، والتوكلِ عليهِ والـرِّضى بقضائِهِ، والإعراضِ عن عَرَضِ الدُّنيا الفاني، والإقبالِ على جَوهرِ الآخرةِ الباقي، كُلُّ هذا يوجبُ لصَاحِبِهِ عند اللهِ منزلةً وزُلْفَى، وإحدَى الـمَنزِلتينِ تَمنعُ مِن الأخرى.

فمـن وَقَـفَ مَع منزلتِهِ عندَ الخَلقِ واشـتغلَ بما حَصَلَ لهُ عندَهـم بعلمه الظاهرِ من شرفِ الدُّنيـا، وكان هَمُّهُ حِفظَ هذه المنزلةِ عندَ الخَلـقِ ومراعاتَها[3] وتربيتَها والخوفَ مِن زَوَالِها؛ كانَ ذَلكَ حَظَّهُ مِن الله وانقطَعَ بِهِ عنهُ، فهو كما قالَ بَعضُهُم: ويلٌ لـمَن كانَ حَظُّهُ من اللهِ الدُّنيا.

وكان سَرِيٌّ السَّقَطِيُّ يُعجبهُ ما يَرى من عِلمِ الجُنَيدِ وحُسنِ خِطابِهِ وسُرعَةِ جوابِهِ، فقـال لَـه يَومًا وقَد سـألَه عَن مَسـألةٍ فأجابَ وأصابَ: أَخشَـى أن يَكـونَ حظُّكَ من الله لِسانَكَ. فكانَ الجُنَيْدُ لا يزالُ يبكِي [خوفًا][4] مِن هذهِ الكلمةِ.

---

(١) في (ب): أحد.

(٢) ليـس هـذا على إطلاقه، بـل يمكن أن يكون مخلصًا صاحب منزلة عنـد الله، ومع ذلك يكون صاحب منزلـة عنـد الخلـق، بل هذا هو الغالب فيمـن أخلص لله، المهم أن يبتغي بعلمـه وعمله وجه الله، وفي الحديـث: «**أن الله إذا أحـب عبـدًا وضع له القبول في الأرض**». خرجه مسـلم وغيره. ولعله أراد أن طلب إحدى المنزلتين تمنع من طلبِ الأخرى وهذا صحيح كما سيبين المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) في (أ) و(ص): ومداراتها.

(٤) زيادة من (أ)، و(د).

ومَـن اشـتغلَ بِتربيةِ منزلتِهِ عنـدَ اللهِ تَعَالَىٰ بما ذكرنَا من العِلـمِ الباطنِ وصلَ إلى اللهِ فاشـتغلَ بهِ عَمَّا سِـواهُ، وكانَ لهُ في ذَلكَ شُـغلٌ عَن طلبِ المنزلةِ عند الخلقِ، ومَع هذا فإنَّ الله يُعطِيهِ المنزلةَ في قُلوبِ الخلقِ والشرفَ عندَهم، وإن كان لا يريدُ ذلك ولا يقفُ معهُ؛ بل يَهرَبُ منهُ أشـدَّ الهَربِ ويَفِرُّ منه أَشَـدَّ الفِرَارِ، خشـيةَ أن يقطعَهُ الخلقُ عن الحقِّ [جلَّ جلالُهُ][(١)].

قال الله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]

أي: في قلوبِ عبادِهِ.

وحديـث: «**إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَـبَّ عَبْدًا نادَى جِبْرِيلَ[(٢)]: إِنِّي أُحِـبُّ فُلَانًا [فَأَحِبَّهُ][(٣)]، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ**».

حديث[(٤)] معروفٌ، وهُو مُخَرَّجٌ في «الصحيح»[(٥)].

وبكـل حالٍ؛ فطَلَبُ الآخرةِ يَحصلُ معهُ شرفُ الدنيا وإن لَم يُردهُ صاحِبهُ ولم يَطْلُبْهُ، وطَلَـبُ شرفِ الدُّنيـا يمنـعُ شرفَ الآخرةِ ولا يَجتمعُ مَعهُ، والسـعيدُ مَن آثَـرَ الباقي على الفـاني، كما في حديثِ أبي موسـى، عن النبـي ﷺ أنه قال: «**مَنْ أَحَـبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ، فَآثِرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى**».

خرَّجهُ الإمامُ أحمدُ وغيرُهُ[(٦)].

---

(١) زيادة من (ب) و(ص).

(٢) في (ب) و(ص): نادى يا جبريل.

(٣) ساقطة من (ص)، (د).

(٤) كلمة حديث: ساقطة من (أ) و(ص).

(٥) «صحيح البخاري» (٣٢٠٩)، و«صحيح مسلم» (٢٦٣٧).

(٦) «المسـند» (١٩٦٩٧). من حديث أبي موسـى الأشـعري، وأخرجه الحاكم في «المسـتدرك» (٧٨٥٣)

وما أحسنَ ما قالَ أبو الفتحِ البُسْتِيُّ:

أَمْـرَانِ مُـفْـتَرِقـانِ لَـسْـت تَرَاهُمَا ... يَـتَـشَـوَّفـانِ لِخُـلْـطَـةٍ وَتَـلاقِـي

طَلَبُ المَعَادِ مَعَ الرِّيَاسَةِ والعُلَى ... فَـدَعِ الَّـذِي يَـفْـنَـى لِـمَا هُـوَ بَاقِي

والحمدُ لله وحده، وصلى اللهُ على سيدِنا محمدٍ وآلِهِ وصَحبِهِ أَجْمَعِين، وحَسْبُنا اللهُ ونِعمَ الوَكيل، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العليِّ العظيم.

[وهذا آخرُ الكلامِ على حديث: «**ما ذئبانِ جائعان أُرسلا في غنمٍ بأفسدَ لها من حرصِ المرءِ على المالِ والشرفِ لدينه**». لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب البغدادي الحنبلي، نزيل دمشق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ونفعنا والمسلمين بعلومه وبركته][1].

❁❁❁

وقال الذهبي: فيه انقطاع، وابن حبان في صحيحه (٧٠٩)، والبيهقي في «الكبرى» (٦٣٠٨).

(١) من النسخة (د).